في سبيل معرفة حسينية

على ضوء الأحاديث المعتبرة

في سبيل معرفة حسينية

على ضوء الأحاديث المعتبرة

الشيخ زكريا بركات درويش


الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله
الطيبين الطاهرين

حين يبلغ الإنسان مرتبة سامية من العبودية والقرب من الله تعالى، فإنَّ الله يفيض عليه من الفضل والمنزلة ما يتناسب مع قربه وتعبّده.. وقد بلغ من فضل شيعة أهل البيت عليهم السلام أنَّ من أذلَّ واحداً منهم كان بمثابة من حارب الله تعالى.

روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (٢/٣٥٣) عن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن، عن معاوية، وهو ابن وهب أو ابن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أسرى ربِّي بي فأوحى إليَّ من وراء الحجاب ما أوحى وشافهني.. إلى أن قال لي: يا محمَّد؛ من أذلَّ لي ولياً فقد أرصدني بالمحاربة، ومن حاربني حاربتُه. قلت: يا ربِّ؛ ومن وليُّك هذا، فقد علمت أنَّ من حاربك حاربته؟ قال لي: ذاك من أخذتُ ميثاقه لك ولوصيِّك ولذرِّيتكما بالولاية». والسند صحيح.

فانظر إلى ما للمؤمن الموالي لأهل البيت من كرامة عند الله، وهي

كرامة يستمدها من ارتباطه بأهل البيت عليهم السلام، فليت شعري ما هي منزلة أهل البيت أنفسهم؟

إننا مهما تحدثنا عن كرامة أهل البيت فإننا لن نبلغ تمام المعرفة، ولن نؤدّيهم حقهم؛ ولكن حسبنا أن نقول إنهم في المنزلة التي يعبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٣٣] .

وهم أصحاب الطهارة التامة الذين قال عنهم الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

ولئن كان المتطهر بقرب النوافل يبلغ منزلة أن يكون محبوبَ الله الذي يكون مجابَ الدعوة، ويكون سمعه وبصره ونطقه وأخْذه بالله تعالى، فكيف بالذين تمم الله طهارتهم وأذهب عنهم الرجس؟

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (٣٥٣/٢) أن الله ـ تبارك وتعالى ـ قال عن هذا الطراز من العباد:

«إنَّه ليتقرَّب إليَّ بالنَّافلة حتَّى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنت إذاً سمعه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يبصر به، ولسانه الَّذي ينطق به، ويده الَّتي يبطش

بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته».

هذا بالنسبة إلى العبد الصالح، فما بالك بمقام أهل البيت الذين معرفتهم هي معيار الصلاح والسمة المائزة لعباد الله الصالحين؟

علينا أن ندرك أن هناك بَوناً شاسعاً وفرقاً واسعاً بين أناس يطلبون الهداية ويتحسسون طريقها ويخشون فِي كل حين من أن تخذلهم البوصلة، وبين أناس يمثلون أصحاب الصراط السوي الذين يُنسب إليهم الصراط المستقيم، وهم كعبة الإيمان الذين تتجه صوبهم المسيرة؛ لأنهم السابقون على الصراط.

تدبر قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧] .

هل ترى كيف تم التمييز بين أناس وآخرين فيما يرتبط بالصراط ومسار الهداية؟

وأصرح منه قوله تعالى: ﴿**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى**﴾ [طه: ١٣٥] .

إلى غير ذلك من الآيات والنصوص الدينية التي لسنا بصدد دراستها وبيانها.

ومن بين أولياء الله المصطفين؛ كان الحسين سلام الله عليه متميزاً بلون ظلامته التي صبغت التاريخ حزناً وافتجاعاً.. وهي ظلامة قدّر الله لها أن توقظ الضمائر وتحيي النفوس وتهزّ وجدان التاريخ.

ولو أننا أردنا أن نعدِّد عطايا الفداء الحسيني لاستعصى علينا الإحصاء؛ لأن الحسين عليه السلام قدَّم مدداً يفي بحاجة التاريخ كله، وكانت واقعة الطف مستوعبة لفصول الحياة الإنسانية كلها.. فكيف يسعني ـ وأنا رهين وعيي القاصر وفصولي المعدودة ـ أن أزعم أنني أستطيع أن أحصي جوانب عظمة العطايا الحسينية؟

وكلما قوي الارتباط بالحسين وقضيته، كان ذلك مَدْعَاة إلى التعرف على القيم التي من أجلها ضحّى الحسين سلام الله عليه، وكلما قرأنا الحسين وفضائله ومبادئه، كنا أقرب إلى معرفة روح الإسلام ومبادئه العظيمة.

والتأكيد الذي نجده فِي النصوص الدينية على التفاعل مع الحسين عليه السلام معرفةً وذكراً وبكاءً وافتجاعاً.. كله يرجع إلى هذا السر؛ فالإمام الحسين مرآة نقية لكل جمال الإسلام، وشخصية تتلخّص فيها كل الصفات التي يحبها الله تعالى، وكلما استحكم انتماؤنا إلى الحسين، كنا أجدر بأن نفوز بمحبة الله تعالى.

والكتاب الذي بين يديك ـ قارئي الكريم ـ يهدف إلى الحديث عما من شأنه أن يقوِّي ارتباطنا بالإمام الحسين عليه السلام، ويجعلنا نستشفُّ أشعّةً من عظمته التي تمثّل سراً يتعذّرُ علينا أن ندرك كنهه، وذلك على أساس مجموعة من الأحاديث الواصلة إلينا عن النبي وأهل بيته عليهم السلام.

وقد اقتصرت فيما ذكرته من الأحاديث على الروايات المعتبرة، فلم أورد روايةً تشتمل على ضعف سندي، ولكنني لم أقصد الاستقصاء والحصر، فهناك العديد من الأحاديث، ومنها المعتبر سنداً، تركناها روماً للاختصار وتجنباً للإطالة.

واللهَ أسأل أن يتقبّل مني هذه الخدمة الضئيلة، وأن يرزقني شفاعة مولاي أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

❖❖❖

من فضائل الإمام الحسين عليه السلام

ليس بوسعنا أن نذكر في مبحثنا هذا إلاّ أقلّ القليل مما ورد فِي فضائله عليه السلام؛ لأنّ غرضنا ليس هو الاستقراء التام والاستيعاب الشامل، بل الغرض هو الإيجاز والإلماح.

*** الحسين عليه السلام من السبعة الذين لم يخلق الله مثلهم:**

روى الحميري (رضوان الله عليه) في كتاب «قرب الإسناد» (ص٢٥)، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن الإمام الصادق، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«مِنَّا سَبْعَةٌ خَلَقَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُخْلَقْ فِي الأَرْضِ مِثْلُهُمْ، مِنَّا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَآله سَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخرِينَ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَوَصِيُّهُ خَيْرُ الْوَصِيِّينَ، وَسِبْطَاهُ خَيْرُ الأَسْبَاط حَسَناً وَحُسَيْناً، وَسَيِّدُ الشُّهَدَاء حَمْزَةُ عَمُّهُ، وَمَنْ قَدْ طَارَ مَعَ الْمَلائكَة جَعْفَرٌ، وَالْقَائمُ». سنده صحيح.

وهذا الحديث لا يوجب تسوية حمزة وجعفر بالمعصومين عليهم

السلام؛ إذ الحديث بصدد بيان أن المذكورين هم الأفضل بالنسبة إلى من عداهم، وليس بصدد بيان التسوية أو التفاضل بين المذكورين.

كما أنه لا يفيد أفضلية المذكورين على الأئمة الثمانية من ذرية الحسين عليهم السلام؛ لأنه بصدد بيان أفضلية المذكورين على من تحققت خلقته في النشأة الدنيوية؛ بدليل عبارة (في الأرض) ، وأما المفاضلة بينهم وبين من لم يوجد في الدنيا بعد، فهذا مسكوت عنه وليس الحديث في مقام بيانه كما هو الظاهر.

وأما عدم ذكر الزهراء ـ سلام الله عليها ـ فقد يكون بسبب أن الإمام عليه السلام قصد الاقتصار على قائمة من الذكور لسبب ما، لم يصرح به في الرواية.

وأما وصف «سيد الشهداء» بالنسبة إلى حمزة (رضوان الله عليه) فلا ريب أنه مقيد، بمعنى أنه كذلك ولكن بالنسبة إلى الشهداء الذين سقطوا في ساحات الجهاد التي خاضها النبي صلى الله عليه وآله، وأما بعد ذلك فإن هذا الوصف يتحدد إلى ما قبل استشهاد أول معصوم، فإننا لا نحتمل أن يكون حمزة ذا سيادة على واحد من شهداء المعصومين؛ لأن المعصومين هم سادات الأولين والآخرين كما هو الثابت بضرورة المذهب.

هـذا حين ننظر إلى لقب (سيد الشهداء) كعنوان تفوّق وأفضلية، وأما إذا نظرنا إليه كعنوان تشريف ووسام فخر، فنقول إن ما ورد من أن الحسين هو سيد الشهداء، يبين أن لقب سيدنا حمزة (رضوان الله عليه) كان مؤقتاً إلى ما قبل زمان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وأما بعد ذلك فقد تم إعطاء هذا الوسام لأبي عبد الله الحسين ليختص به دون منازع.

*** الحسين عليه السلام سيِّد الشهداء وسيِّد شباب أهل الجنة:**

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «ثواب الأعمال» (ص٩٧) ، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله الأشعري، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن حنان بن سدير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«**زُورُوهُ ـ** يَعْنِي قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام **ـ وَلا تَجْفُوهُ؛ فَإِنَّهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَسَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». سنده موثق.

*** اسم الحسين عليه السلام مكتوب على البيت المعمور:**

روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (٤٨٣/٣) عن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن

ابن أذينة، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ضمن بيانه لما جرى في المعراج، فقال عليه السلام يبين ما جرى في السماء الثالثة:

«فَاجْتَمَعَت الْمَلائكَةُ وَقَالَتْ مَرْحَباً بالأَوَّل وَمَرْحَباً بالآخر وَمَرْحَباً بالْحَاشر وَمَرْحَباً بالنَّاشر، مُحَمَّدٌ خَيْرُ النَّبِيِّينَ وَعَليٌّ خَيْرُ الْوَصِيِّينَ. قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: ثُمَّ سَلَّمُوا عَلَيَّ وَسَأَلُوني عَنْ أَخي، قُلْتُ هُوَ في الأَرْض، أَفَتَعْرفُونَهُ؟ قَالُوا: وَكَيْفَ لا نَعْرفُهُ وَقَدْ نَحُجُّ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ كُلَّ سَنَة، وَعَلَيْه رَقٌّ أَبْيَضُ فيه اسْمُ مُحَمَّد وَاسْمُ عَليٍّ وَالْحَسَن وَالْحُسَيْن وَالأَئمَّةَ عليهم السلام وَشيعَتهمْ إلَى يَوْمِ الْقيَامَة، وَإنَّا لَنُبَاركُ عَلَيْهمْ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَة خَمْساً، يَعْنُونَ في وَقْت كُلِّ صَلاة، وَيَمْسَحُونَ رُؤوسَهُمْ بأَيْديهمْ». سنده صحيح.

وهذه الرواية كما تدل على سامي مرتبة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فهي تدل أيضاً على شريف منزلة شيعتهم التي استحقوها ببركة الولاية.

كما تدل الرواية على عظيم ما يناله المؤمن من الكرامة في الصلوات الخمس التي يؤديها كل يوم.

* الحسين عليه السلام ممَّن نزلت فيهم آية التطهير:

روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (٢٨٧/١) عن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن

يونس بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ضمن حديث:

«...لَكنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ أَنْزَلَهُ في كتَابه تَصْديقاً لنَبيِّه صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّما يُريدُ اللَّهُ ليُذْهبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْت ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] **فَكَانَ عَليٌّ والْحَسَنُ والْحُسَيْنُ وفَاطمَةُ عليهم السلام، فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله تَحْتَ الْكسَاء في بَيْت أُمِّ سَلَمَةَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إنَّ لكُلِّ نَبيٍّ أَهْلاً وثقلاً، وهَؤُلاء أَهْلُ بَيْتي وثقلي، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ منْ أَهْلكَ؟ فَقَالَ: إنَّك إلَى خَيْرٍ، ولَكنَّ هَؤُلاء أَهْلي وثقلي»**. *سنده صحيح.*

فقد بيّن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ بما صنعه أن المراد من أهل البيت فِي آية التطهير أناسٌ مخصوصون، وأن دخول أحد في نطاق المدلول اللغوي لعبارة (الأهل) لا يوجب دخوله فِي مدلول آية التطهير، فيمكننا القول بأن هناك معنيين لـ (الأهل)، معنى لغوي واسع النطاق يمكن أن نعبر عنه بأهل بيت السكنى، ومعنى آخر أخص منه استعمل فِي آية التطهير وبيّنه النبي بفعله، ويمكننا أن نعبر عنه بأهل بيت النبوة.

وبالتفريق بين البيتين (بيت السكنى وبيت النبوة) يمكننا أن نتفهّم نفيَ أحدهما عن أم سلمة (رضوان الله عليها) مع إثبات الآخر لها.

*** الحسين عليه السلام من الطاهرين الذين برزوا للمباهلة:**

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «الأمالي» (ص٥٢٥) ، عن علي بن الحسين بن شاذويه المؤدب وجعفر بن محمد ابن مسرور، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن الريان بن الصلت، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال ضمن حديث:

«**حين ميَّز الله الطاهرين من خلقه فأمر نبيه صلى الله عليه وآله بالمباهلة في آية الابتهال، فقال عز وجل: ﴿فَقُلْ** ـ يا محمد ـ **تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾ فأبرز النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ علياً والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم، وقرن أنفسهم بنفسه**». *سنده صحيح؛* جعفر ابن محمد بن مسرور هو ابن قولويه صاحب «كامل الزيارات» وفاقاً لغير واحد من الأساطين.

وهذه الرواية الشريفة تدل على أن اختيار فاطمة وبعلها وبنيها عليهم السلام، لم يكن على أساس انتمائهم الأسري، بل على أساس الطهارة التي تميّزوا بها دون سائر الخلق، ولو كان في الخلق مطهّرون من طرازهم لتم اختيارهم.

وعبارة (وقرن أنفسهم بنفسه) تؤكد ذلك؛ فإنها تعني أن المباهلة كانت ذات خصوصية تقتضي ألاّ يخرج لها إلاّ من كان بمستوى من

الطهارة والسمو، بحيث يستحق أن يقترن بالنبي في عظيم منزلته وسموّ شأنه صلى الله عليه وآله.

وبعبارة أخرى: لقد كانت تلك المباهلة بمكان من المَزِيّة بحيث لم يكن ينبغي أن يخرج لها إلاّ النبي ومن قاربه فِي الطهارة والمنزلة.

*** الحسين عليه السلام ممَّن نزلت فيهم آية المودة:**

روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (٩٣/٨) عن محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن إسماعيل بن عبد الخالق، عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾، قال:

«**إِنَّمَا نَزَلَتْ فِينَا خَاصَّةً، فِي أَهْلِ الْبَيْتِ، فِي عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ عليهم السلام**». *سنده صحيح.*

والنبي ـ صلى الله عليه وآله ـ هو نبي الهداية، فحين يقول لنا إنه لا يطلب منا إلاّ أن نحب العترة الطاهرة، فهذا يعني أن محبتهم تتضمن الهداية كلها، فحين سنحبهم، وبقدر محبتنا لهم، سننشدُّ إلى القيم والمبادئ الدينية السامية التي تمثل أسس الهداية ومعاييرها. وهذا يعني أن هؤلاء الأطهار هم الدُّعاة إلى هذه الأسس والقيم،

وهم الذين تتلخص فيهم المبادئ السامية؛ ولذا كانت مودتهم عنواناً ينوب عن عنوان الهداية ويفي بمعناه.

والبعض يتصوَّر أن هناك انفكاكاً بين المحبة والاتباع، فهناك من يحب ولكن لا يتبع، وهناك من يحب ويتبع، وهو تصور غير صحيح؛ لأن الاتباع يكون على قدر المحبة، ونحن نلاحظ أن المختلفَين في الآراء تقل المودة بينهما بقدر الاختلاف، وهذا ليس إلاّ لمعادلة أودعها الله فِي تكويننا النفسي، وهي أننا نحب على قدر الانسجام والمشتركات، ونتباغض أو نتنافر على قدر نقاط الاختلاف.

ومن هنا يتجلى لنا السر في أهمية البراءة من أعداء الله وأعداء المؤمنين.

فالحصيلة أن مطالبة النبي لنا بمحبة أهل بيته، تعني المطالبة بالتزامهم والتمسك بهم على صعيد ما يتبنونه من مواقف وآراء، وهذا يعني التبعية المطلقة لهم.

ولقد أصاب من قال في هذا السياق:

تعصي الإلهَ وأنت تظهر حبه   هذا لعمرك فِي الفعال بديعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعته   إنَّ المحبَّ لمن أحبَّ مطيعُ

*** الحسين عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله:**

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «الأمالي» (ص٥٢٥) ، عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن حماد بن عيسى، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، أنه قال للإمام علي عليه السلام قبل موته بثلاث:

«**سلام الله عليك يا أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتي من الدنيا، فعن قليل ينهدُّ ركناك، والله خليفتي عليك**» . فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، قال علي عليه السلام: «**هذا أحدُ ركنَيَّ الَّذي قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وآله**»، فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال علي عليه السلام: «**هذا الركن الثاني الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله**». *سنده صحيح.*

والمقصود أن الحسنين عليهما السلام كانا سبب راحة النبي صلى الله عليه وآله وانشراح نفسه بما يمثلانه من جمال ونقاء فهما كالرياحين ترتاح النفس وتنشرح بشمها والنظر إليها.

كما أن الرواية تدل على مكانة الزهراء عليها السلام عند أمير المؤمنين عليه السلام، ودورها في تأييده ودعمه ومؤازرته، حتى صح

التعبير عنها بأنها ركنٌ لأمير المؤمنين، ومن يكون ركناً لبطل التاريخ والإنسانية، فلا ريب أنه عظيم من عظماء الكون.

*** الحسين عليه السلام اختار لقاء الله على النصر العسكري:**

روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (١/٢٦٠) عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف ابن عميرة، عن عبد الملك بن أعين، عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام حَتَّى كَانَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، ثُمَّ خُيِّرَ النَّصْرَ أَوْ لِقَاءَ اللَّهِ، فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى».
سنده صحيح.

أقول: ولما كان الحسين معصوماً مسدداً، يثبت أن لقاء الله تعالى كان خيراً من الحسم العسكري في واقعة الطف، وأن الله لم يترك معونة معسكر الحسين عليه السلام، بل الإمام الحسين هو الذي اختار أن يمضي شهيداً مظلوماً.

وقد زلزل الحسين بظلامته وجدان التاريخ، وأيقظ كل الأحياء، واجتاز بعظمته نطاق المكان والزمان ليجعل كل الساحات كربلاء، ويجعل كل الأزمنة عاشوراء..

وروى الشيخ الصفار (رضوان الله عليه) فِي «بصائر الدرجات» (ص١٢٤ ـ ١٢٥) عن أحمد بن محمد بن عيسى؛ ومحمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن ضريس الكناسي، أن حمران بن أعين سأل الإمام الباقر عن السر فِي ما واجهه الأئمة عليهم السلام من مصاعب ومصائب، فأجاب عليه السلام:

«...إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ كَانَ قَدَّرَ ذَلكَ عَلَيْهِمْ، وَقَضَاهُ وَأَمْضَاهُ وَحَتَمَهُ ثُمَّ أَجْرَاهُ، فَبَتَقَدُّمِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ اللَّه إِلَيْهِمْ فِي ذَلكَ قَامَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ صلوات الله عليهم، وَبِعِلْمٍ صَمَتَ مَنْ صَمَتَ مِنَّا، وَلَوْ أَنَّهُمْ ـ يَا حُمْرَانُ ـ حَيْثُ نَزَلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ مِنْ أَمْرِ اللَّه وَإِظْهَارِ الطَّوَاغِيتِ عَلَيْهِمْ، سَأَلُوا اللَّهَ دَفْعَ ذَلكَ عَنْهُمْ وَأَلَحُّوا فيه فِي إِزَالَةِ مُلْكِ الطَّوَاغِيتِ، إِذاً لأَجَابَهُمْ وَدَفَعَ ذَلكَ عَنْهُمْ، ثُمَّ كَانَ انْقِضَاءُ مُدَّةِ الطَّوَاغِيتِ وَذَهَابُ مُلْكِهِمْ أَسْرَعَ مِنْ سِلْكٍ مَنْظُومٍ انْقَطَعَ فَتَبَدَّدَ...» . *سنده صحيح.*

ومن هنا علينا أن ندرك أن قيام الإمام وقعوده ونطقه وسكوته، وكل حركاته وسكناته، مبنية على العلم الذي آتاه الله، وموافقة لمرضاة الله، وليست القضية تشبه حسابات سائر الناس وتقديرهم للأمور.

*** كرامات الإمام الحسين عليه السلام في طفولته:**

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «الأمالي» (ص٤٤٣) ، عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن علي بن الحسين السعدآبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه محمد بن خالد البرقي، عن فضالة بن أيوب، عن أبي أسامة زيد الشحام، عن الإمام الصادق، عن الإمام الباقر، عن الإمام السجاد عليهم السلام، قال:

«مرض النبي صلى الله عليه وآله المرضة التي عوفي منها، فعادته فاطمة عليها السلام سيدة النساء، ومعها الحسن والحسين، قد أخذت الحسن بيدها اليمنى، وأخذت الحسين بيدها اليسرى، وهما يمشيان وفاطمة بينهما، حتى دخلوا منزل عائشة، فقعد الحسن عليه السلام على جانب رسول الله الأيمن، والحسين على جانب رسول الله الأيسر، فأقبلا يغمزان ما يليهما من بدن رسول الله صلى الله عليه وآله، فما أفاق النبي صلى الله عليه وآله من نومه، فقالت فاطمة للحسن والحسين: حبيبَيَّ ! إنَّ جدكما قد غفا، فانصرفا ساعتكما هذه، ودعاه حتى يفيق وترجعان إليه، فقالا: لسنا ببارحين في وقتنا هذا . فاضطجع الحسن على عضد النبي الأيمن، والحسين على عضده الأيسر، فغفيا وانتبها قبل أن ينتبه النبي صلى الله عليه وآله، وقد كانت فاطمة عليها السلام ـ لمَّا ناما ـ انصرفت

إلى منزلها، فقالا لعائشة: ما فعلت أُمُّنا؟ قالت: لمَّا نمتما رجعت إلى منزلها. فخرجا في ليلة ظلماء مدلهمة ذات رعد وبرق، وقد أرخت السماء عزاليها، فسطع لهما نور، فلم يزالا يمشيان في ذلك النور، والحسن قابض بيده اليمنى على يد الحسين اليسرى، وهما يتماشيان ويتحدثان، حتى أتيا حديقة بني النجار، فلمَّا بلغا الحديقة حارا، فبقيا لا يعلمان أين يأخذان، فقال الحسن للحسين: إنا قد حرنا وبقينا على حالتنا هذه، وما ندري أين نسلك، فلا عليك أن ننام في وقتنا هذا حتى نصبح؟ فقال له الحسين عليه السلام: دونك يا أخي فافعل ما ترى. فاضطجعا جميعاً، واعتنق كل واحد منهما صاحبه وناما. وانتبه النبي صلى الله عليه وآله من نومته التي نامها، فطلبهما في منزل فاطمة فلم يكونا فيه وافتقدهما، فقام قائماً على رجليه وهو يقول: إلهي وسيدي ومولاي؛ هذان شبلاي خرجا من المخمصة والمجاعة، اللهم أنت وكيلي عليهما، فسطع للنبي نورٌ، فلم يزل يمضي في ذلك النور، حتى أتى حديقة بني النجار، فإذا هما نائمان قد اعتنق كل واحد منهما صاحبه، وقد تقشعت السماء فوقهما كطبق، فهي تمطر كأشد مطر ما رآه الناس قط، وقد منع الله عز وجل المطر منهما في البقعة التي هما فيها نائمان، لا يمطر عليهما قطرة، وقد اكتنفتهما حيَّةٌ لها شعرات كآجام القصب، وجناحان؛ جناح قد غطت به الحسن، وجناح قد غطت به الحسين. فلمَّا أن بصر بهما النبي تنحنح، فانسابت الحية وهي تقول: اللهم إنِّي أُشهدك وأشهد ملائكتك أنَّ هذين

شبلا نبيِّك قد حفظتهما عليــه، ودفعتهما إليه سالمين صحيحين. فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: أيتها الحية ! ممَّن أنت؟ قالت: أنا رسول الجنِّ إليك. قال: وأيُّ الجن؟ قالت: جن نصيبين، نفر من بني مليح، نسينا آية من كتاب الله عز وجل، فبعثــوني إليك لتعلِّمنا ما نسينا من كتاب الله، فلمَّا بلغتُ هذا الموضع سمعت مُنادياً ينادي: أيتها الحيَّــةُ! هذان شــبلا رسول الله، فاحفظيهما من الآفات والعاهات، ومن طوارق الليل والنهار، فقد حفظتهما، وسلَّمتهما إليك ســالمَين صحيحَين. وأخذت الحيَّة الآية وانصرفت. وأخذ النبي صلى الله عليه وآله الحسن فوضعه على عاتقه الأيمن، ووضع الحسين على عاتقه الأيسر. وخرج علي عليه السلام، فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله. فقال له بعض أصحابه: بأبي أنت وأمي؛ ادفع إليَّ أحد شبليك؛ أُخفِّفْ عنك. فقال: امض؛ فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك. وتلقَّاه آخر، فقال: بأبي أنت وأمي؛ ادفع إلي أحد شبليك؛ أُخفِّفْ عنك. فقال: امض؛ فقد سمع الله كلامك وعرف مقامك. فتلقاه عليٌّ عليه السلام، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ادفع لي أحدَ شبلَيَّ وشــبليك؛ حتى أُخفِّفَ عنك، فالتفت النبــي صلى الله عليــه وآله إلى الحسن عليه السلام، فقال: يا حســن؛ هل تمضي إلى كتف أبيك؟ فقال له: والله يا جداه إنَّ كتفك لأحب إليَّ من كتف أبي، ثمَّ التفت إلى الحسين عليه السلام، فقال: يا حســين؛ هل تمضي إلى كتف أبيك؟ فقال له: والله يا جداه إنِّي لأقول لك كما قال أخي الحسن؛

إنَّ كتفك لأحب إليَّ من كتف أبي. فأقبل بهما إلى منزل فاطمة عليها السلام، وقد ادَّخرت لهما تميرات، فوضعتها بين أيديهما، فأكلا وشبعا وفرحا. فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله: قوما الآن فاصطرعا، فقاما ليصطرعا، وقد خرجت فاطمة في بعض حاجتها، فدخلت فسمعت النبي وهو يقول: إيه يا حسن؛ شُدَّ على الحسين فاصرعه، فقالت له: يا أبة! واعجباه أتشجع هذا على هذا؟! أتشجع الكبير على الصغير؟! فقال لها: يا بُنيَّة! أما ترضين أن أقول أنا: يا حسن شُدَّ على الحسين فاصرعه، وهذا حبيبي جبرئيل يقول: يا حسين شُدَّ على الحسن فاصرعه». سنده معتبر على التحقيق.

ولنكتف بهذا القدر، علماً أن ما سنسوقه من أحاديث في الإمامة والزيارة وغيرها، هي كلها دلائل على الفضائل بصورة عامة.

❖❖❖

*** معنى الإمامة وضرورتها:**

الإمامة تعني موقع القائد الذي يتولى مهمة هداية العباد إلى مرضاة الله تعالى، فيريهم معالم الطريق، ويقتدون به على الصراط.. وقد كان الأنبياء أئمة بهذا المعنى، ومن هنا يمكننا القول بأن الإمامة ـ بهذا المعنى ـ أمرٌ لا يختلف فيه المسلمون، بل أهل الأديان السماوية، فالجميع يعتقد بأن التاريخ شهد تواجد أناس ربانيين تولوا زمام الهداية.

كما أن المسلمين مجمعون أيضاً على إمامة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وغني عن البيان أن حاجة البشرية إلى هذا الطراز السامي والرباني من الهداة، لا تتأطر في حدود فترة زمنية معينة، بل هي حاجة مستمرة على طول التاريخ.

والفقر المعرفِي الذي جعل البشرية بحاجة إلى بعثة الأنبياء وهدايتهم، ليس بطبيعته فقراً مؤقتاً يمكن أن يُدّعى أنه انقضى وتصرّمَ، بل لا يزال قائماً على أشده وأجلى صوره، وهذا يعني أن ما يوجب

بعثة الأنبياء ويستدعي هدايتهم، يوجب ويستدعي ـ للسبب نفسه ـ استمرار الهداية نفسها وعدم انقطاعها؛ وذلك لأن حاجة البشرية لم تنتف، والفقر المعرفي لا يزال كما هو، فلا بد من استمرار سلسلة الهداة الربانيين.

ولما كان النبي نمطاً من الهداة، فيمكن أن ينوب عنه نمطٌ آخر من الهداة تحت عنوان عام آخر (الوصي).

وبهذا يتجلى أن ختم النبوة يوجب ـ نظراً إلى احتياج البشرية إلى الهادي ـ أن ينوب عن خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) ربّانيون يتولون مهمة الهداية، ويمسكون سكّان السفينة؛ فإن كانت النبوة قد ختمت، فهذا لا يبرِّر ختمَ الهداية أيضاً، فلا بد من ربانيين يقومون بمهمة الهداية والإمامة كما قام بها النبي، وإن لم يكونوا أنبياء نظراً إلى أن النبوة قد ختمت بإجماع الأمّة.

بل إن القول بعدم الهداة بعد النبي، يثير علامة استفهام حول مبرِّر ختم النبوة أيضاً.

ولكن من المؤسف أن فريقاً من المسلمين أصرّوا على القول بأن الإمامة والهداية التي كان يتولاها الأنبياء والحجج الربانيون الذين كان يتم اختيارهم من قبل الله تعالى، أصرّوا على أن هذه الإمامة والهداية لم يعد لها داع بعد وفاة النبي، وأن الأمّة قد استغنت بمنظومة النصوص التي عندها عن الهادي..!

وبهذا مهّدوا لظهور المَلَكية في الحياة الإسلامية، ليخضع الدين فيما بعد للتعديلات التي يدخلها فراعنة التاريخ، حتى بلغ الأمر إلى أن يتم تعيين المفتي الأعلى من قبل حاكم سياسي يعرف بالإجرام والانحراف الديني..!

هذا مع أن مسألة الإمامة قد تم بيانها وبصورة واضحة في النصوص الدينية، ولم يتم إيكال تحديد الأئمة والهداة إلى الناس.

وقد روى أهل السنة أنفسهم قدراً وافراً من هذه النصوص، وإن كانت النصوص في الإطار الشيعي أكثر وأجلى.. ولسنا بصدد دراسة هذا الموضوع بصورة وافية عند الفريقين، ولكننا نلمح إلى بعض النصوص المعتبرة من طرق مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مجال الإمامة بصورة عامة، وكذا في مجال إمامة الحسين (سلام الله عليه) بصورة خاصة.

*** الإمامة بصورة عامة:**

أما الإمامة بصورة عامة ففيها نصوص متضافرة متواترة نذكر منها:

ما رواه الحميري (رضوان الله عليه) في كتاب «قرب الإسناد» (ص١٥٢)، عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الإمام الرضا عليه السلام، عن النبي

الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«**مَنْ مَاتَ لَيسَ لَهُ إمَامٌ حيٌّ يَعْرِفُهُ، مَاتَ ميتةً جَاهليَّةً**». *سنده صحيح*.

وروى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (١/٣٧٧) عن أحمد بن إدريس القمي، عن محمد بن عبد الجبار القمي، عن صفوان بن يحيى البجلي، عن الفضيل بن عثمان، عن الحارث بن المغيرة النصري، أنه سأل الإمامَ الصادق عليه السلام: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**مَنْ مَاتَ لا يَعْرفُ إمَامَهُ مَاتَ ميتَةً جَاهليَّةً**»؟، فأجابه الصادق عليه السلام: «**نعم**». *سنده صحيح*.

فهذا الحديث النبوي ـ بلفظَيه ـ يدل على أن حُسن العاقبة للمؤمن إنما يتحقق بمعرفة إمامه الحي، وليس يكفي معرفته بالإمام المتوفى.

والمقصود بمعرفة الإمام: الاعتقاد بإمامته ولزوم الانقياد له بالطاعة.

وثمة ارتباط وثيق بين الإيمان بالحي من الأئمة وبين الإيمان بمن توفي منهم عليهم السلام؛ لأن الذي توفي هو الذي نص على الحي، فالتكذيب بالحي يستلزم التكذيب بالمتوفى.

وقد روى الصدوق (أعلى الله مقامه) في «كمال الدين» (٢/٤١٠) عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيسى، عن صفوان ابن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«**من أنكر واحداً من الأحياء فقد أنكر الأموات**». *سنده صحيح.*

وروى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) فِي كتاب «الكافي» (١٩/٢) عن علي بن إبراهيم القمي، عن أبيه إبراهيم بن هاشم وعبد الله بن الصلت، عن حماد بن عيسى الجهني، عن حريز بن عبد الله السجستاني عن زرارة بن أعين، عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«**أَمَا لَو أَنَّ رَجُلاً قَامَ لَيلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ وَتَصَدَّقَ بجَميع مَاله وَحَجَّ جَميعَ دَهْره، ولَمْ يَعْرِفْ ولايَةَ وَليِّ الله فَيُوَاليَهُ ويكونَ جَميعَ أَعْمَاله بدَلالَته إلَيه، مَا كَانَ لَهُ عَلَى الله جَلَّ وَعَزَّ حَقٌّ في ثَوَابه، وَلا كَانَ منْ أَهْل الإيمَان**». *سنده صحيح.*

فعلينا أن ننتبه إلى أن العمل الصالح والسلوك الحسن ليس هو المعيار التام للنجاة، بل لا بد من انضمام الاعتقاد بإمامة من جعله الله إماماً.

وقد تكون صلاة العارف بإمامه كصلاة غيره، وربما كانت صلاة غير العارف أكثر جمالاً وأشدّ بهاءً، فهذا ليس معياراً لتساويهما أو تفوُّق غير العارف فِي الفضل عند الله؛ بل يتفوق العارف ـ ببركة الولاية ـ على كل حال؛ لأن أعماله مأخوذة من الباب المشروع.

فقد تكون عند شخصين تحفٌ جميلة وثمينة ذات قيمة متقاربة، أخذها أحدهما بطريق مشروع، بينما أخذها الآخر بصورة غير قانونية

كأن يكون سرقها، فهل يصح لنا أن نساوي بينهما فنقول كلاهما عنده تحف نفيسة ولا يختلفان في هذا الفضل؟ وهل يجوز لنا أن نكرِّم السارق بحجة أنه صاحب متحف وآثار وله الفضل في الحفاظ عليها؟

*** إمامة أهل البيت وإمامة الحسين:**

لقد تواترت النصوص في أن الإمامة في أهل البيت خاصة، وأنهم اثنا عشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، منهم الإمام الحسين سلام الله عليه، ومن تلك النصوص:

ما رواه الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) فِي كتاب «الأمالي» (ص٥٢٥) ، عن علي بن الحسين بن شاذويه المؤدب وجعفر بن محمد ابن مسرور، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن الريان بن الصلت، عن الإمام الرضا عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«**إنِّي مُخلِّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، وانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس! لا تُعلِّموهم؛ فإنَّهم أعلمُ منكم**» . سنده صحيح على التحقيق.

وفِي كتاب «الكافي» (١/٢٨٦ ـ ٢٨٨) عن علي بن إبراهيم القمي، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عبد الله

ابن مسكان، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق ـ ضمن حديث ـ عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«**أُوصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِي؛ فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ**». *سنده صحيح.*

وهذا هو حديث الثقلين المشهور المتواتر عند الفريقين.

وقد تقدم في فضائل الإمام الحسين من رواية «الكافي» (١/٢٨٧) أن النبي (صلى الله عليه وآله) عبر عن أهل الكساء الطاهرين بقوله: «...**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلاً وثقلاً، وهَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي وثقلي**».

ووصف (الثقل) يعني أن تشييد الدين وعمارته وحفظه من الخراب والاندراس يتوقف على أهل البيت عليهم السلام تماماً كما يتوقف على القرآن الكريم.

قال الزمخشري في كتاب «الفائق في غريب الحديث» (١/١٥٠): «الثقل: المتاع المحمول على الدابة، وإنما قيل للجن والإنس الثقلان؛ لأنهما قطان الأرض، فكأنهما أثقالها. وقد شبه بهما الكتاب والعترة في أن الدين يستصلح بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين».

فمن تمسك بالكتاب والعترة ضمن سلامة دينه وشد بنيانه وأحكم أركانه، ومن تخلى عنهما أو عن واحد منهما لم يحرز سلامة دينه.

ولعلها إشارة نبوية إلى الآيات التي تحدثت عن الثقل في موازين أناس والخفة من موازين آخرين، منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٣] .

فمن جاء الله بدين قائم على رُكنَي الكتاب والعترة، فهو قد ثقلت موازينه لأنه جاء بصحيفة يتوِّجها الثقلان، ومن لم يأت كذلك كان صفر اليدين ممن لا يستحق دخول الجنة.

وفي كتاب «الكافي» (٢/٣٧٤) : علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد، جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «**وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله...**»، فذكر إلى أن بلغ قوله:

«**...وإِذَا لَمْ يَأمُرُوا بِالْمَعْرُوف وَلَمْ يَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَر وَلَمْ يَتَّبِعُوا الأَخْيَارَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ شِرَارَهُمْ، فَيَدْعُوا خِيَارُهُمْ فَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ**». سنده صحيح.

فترك اتباع أهل البيت يؤدي إلى تسلط حكام الجور على العباد والبلاد، كما يؤدي إلى حجب دعاء الصالحين.

وفي كتاب «بصائر الدرجات» (ص٤٩) : حدثنا العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتي، وَيَمُوتَ مَمَاتي، وَيَدْخُلَ جَنَّةَ رَبِّي جَنَّةَ عَدْنٍ مَنْزِلي، قَضيبٌ منْ قُضْبَانهَا غَرَسَهَا اللَّهُ رَبِّي بيَده، فَلْيَتَوَلَّ عَليّاً وَالأَئمَّةَ منْ بَعْده؛ فَإنَّهُمْ أَئمَّةُ الْهُدَى، أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فَهْماً وَعلْماً، فَهُمْ عتْرَتي منْ لَحْمي وَدَمي، إلَى اللَّه أَشْكُو مَنْ عَادَاهُمْ منْ أُمَّتي، وَاللَّه لَيَقْتُلُنَّ ابْني، لا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتي». سنده صحيح.

فهذا الحديث النبوي الصحيح يدل على:

١ ـ أن اتباع الأئمة من أهل البيت يؤدي إلى دخول الجنة.

٢ ـ أن الأئمة من أهل البيت يتميزون بمرتبة من العلم والفهم يُؤتَونا من قبل الله توجب إمامتهم ولزوم اتباعهم.

وقد صح عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ أنه قال:

«أَمَا وَاللَّه إنَّ في أَهْلِ بَيْتي منْ عتْرَتي لَهُدَاةً مُهْتَدينَ منْ بَعْدي، يُعْطيهِمْ علْمي وَفَهْمي وَحلْمي وَخُلُقي...».

رواه الصفار (رضوان الله عليه) في «بصائر الدرجات» (ص٥٠) عن محمد بن الحسين وعبد الله بن محمد جميعاً عن الحسن بن

محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وهذا سند صحيح.

فتبين أن علمهم وفهمهم ـ عليهم السلام ـ هو علم النبي وفهمه صلى الله عليه وآله، وهذا يعني أنهم معصومون كما كان النبي معصوماً في علمه وفهمه، فيلزم اتباعهم وتحرم مخالفتهم، لأن ما يقولونه هو مقال النبي نظراً إلى وحدة العلم والفهم، والأقوال إنما هي نتاج العلم والفهم.

وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) فِي كتاب «كمال الدين» (٢٦٢/١) عن أبيه، عن سعد بن عبد الله الأشعري، عن يعقوب بن يزيد الأنباري، عن حماد بن عيسى الجهني، عن عبد الله بن مسكان، عن أبان بن تغلب، عن سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله فإذا الحسين ابن عليٍّ على فخذه، وهو يقبل عينيه ويلثم فاه ويقول:

«**أنت سيِّدٌ ابنُ سيِّد، أنت إمامٌ ابنُ إمام أخو إمام أبو أئمَّة، أنت حُجَّة الله ابنُ حُجَّته وأبو حُجَج تسع من صُلبك، تاسعهم قائمهم**». سنده صحيح.

وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «كمال الدين» (٢٤٠/١) عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، عن علي بن إبراهيم

ابن هاشم القمي، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن غياث بن إبراهيم، عن الإمام الصادق، عن الإمام الباقر، عن الإمام السجاد، عن الإمام الحسين، عن أمير المؤمنين عليهم السلام، أنه قال ـ فِي قول النبي صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ـ :

«**أَنَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالأَئِمَّةُ التِّسْعَةُ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ، تَاسِعُهُمْ مَهْدِيُّهُمْ وَقَائِمُهُمْ، لا يُفَارِقُونَ كِتَابَ الله وَلاَ يُفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرِدُوا عَلَى رَسُولِ الله ـ صلى الله عليه وآله ـ حَوْضَه**». سنده صحيح.

وفي «الكافي» الشريف (٥٣٣/١) عن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن سعيد بن غزوان الأسدي، عن أبي بصير، عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال:

«**يَكُونُ تِسْعَةُ أَئِمَّةٍ بَعْدَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، تَاسِعُهُمْ قَائِمُهُمْ**». سنده صحيح.

وروى الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «كمال الدين» (٣٣٥/٢) عن محمد بن علي ماجيلويه ومحمد بن موسى المتوكل، عن محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أبي طالب عبد الله ابن الصلت القمي، عن عثمان بن عيسى الكلابي، عن سماعة بن

مهران، عن أبي بصير، عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «**نحن اثنا عشر مهدياً**». سنده موثق؛ الكلابي واقفي ثقة.

وفي كتاب «كمال الدين» (١/٢٦٩) عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن محمد بن يحيى العطار وعبد الله بن جعفر الحميري، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب السراد، عن أبي الجارود زياد بن المنذر، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها **لوحٌ فيه أسماء الأوصياء، فعددت اثني عشر، آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد، وأربعة منهم عليٌّ** صلوات الله عليهم أجمعين.

سنده موثق؛ أبو الجارود زيدي ثقة وفاقاً للسيد الخوئي رضوان الله عليه.

وفي كتاب «الكافي» (١/٥٢٥) عن عدة من أصحابه، عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال:

«**أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى يَدِ سَلْمَانَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَجَلَسَ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَاللِّبَاسِ، فَسَلَّمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ، فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَسْأَلُكَ عَنْ ثَلاثِ مَسَائِلَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي بِهِنَّ عَلِمْتُ**

أَنَّ الْقَوْمَ رَكِبُوا مِنْ أَمْرِكَ مَا قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ لَيْسُوا بِمَأمُونِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى عَلِمْتُ أَنَّكَ وَهُمْ شَرَعٌ سَوَاءٌ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّجُلِ إِذَا نَامَ أَيْنَ تَذْهَبُ رُوحُهُ؟ وَعَنِ الرَّجُلِ كَيْفَ يَذْكُرُ وَيَنْسَى؟ وَعَنِ الرَّجُلِ كَيْفَ يُشْبِهُ وَلَدُهُ الأَعْمَامَ وَالأَخْوَالَ؟ فَالْتَفَتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الْحَسَنِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَجِبْهُ، قَالَ: فَأَجَابَهُ الْحَسَنُ عليه السلام، فقال الرَّجُلُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ وَلَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِذَلِكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَالْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ، وَأَشَارَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَصِيُّهُ وَالْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ، وَأَشَارَ إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَصِيُّ أَخِيهِ وَالْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ بَعْدَهُ، وَأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْحُسَيْنِ بَعْدَهُ، وَأَشْهَدُ عَلَى مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَأَشْهَدُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِأَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ، وَأَشْهَدُ عَلَى مُوسَى أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَأَشْهَدُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى، وَأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بِأَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بِأَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَأَشْهَدُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ لا يُكَنَّى وَلا يُسَمَّى حَتَّى يَظْهَرَ أَمْرُهُ، فَيَمْلأَهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ قَامَ فَمَضَى، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ:

يَا أَبَا مُحَمَّد؛ اتْبَعْهُ فَانْظُرْ أَيْنَ يَقْصدُ؟ فَخَرَجَ الْحَسَنُ بْنُ عَليٍّ عليهما السلام، فَقَالَ: مَا كَانَ إِلاّ أَنْ وَضَعَ رِجْلَهُ خَارِجاً منَ الْمَسْجِد، فَمَا دَرَيْتُ أَيْنَ أَخَذَ منْ أَرْضِ اللَّه، فَرَجَعْتُ إِلَى أَمير الْمُؤْمنينَ عليه السلام فَأَعْلَمْتُهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّد؛ أَتَعْرِفُهُ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَميرُ الْمُؤْمنينَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: هُوَ الْخَضِرُ عليه السلام». سنده صحيح.

ولنكتف بهذا القدر من الأحاديث المعتبرة التي تؤكد على أهمية الإمامة في منظومة العقيدة الإسلامية، كما تبين لنا أن الحسين (عليه السلام) هو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تجب معرفتهم ويلزم الانقياد والتسليم لتعاليمهم وطاعتهم بوصفهم سفن النجاة والعروة الوثقى والحبل المتين وحجة الله على العالمين.



ظلامة الحسين عليه السلام

لم يكن فضل أهل البيت عليهم السلام ليخفى على أحد، فقد أثبتت النصوص المتواترة عظيم منزلتهم وقربهم من الله تعالى، كما كانت سيرتهم تعكس السمو والنقاء الذي كان يغمر شخصياتهم المقدّسة.. والإمام الحسين (عليه السلام) كان من هؤلاء الربانيين الذين لم يعرف التاريخ نظراء لهم.

ويبدو أن السنة الإلهية اقتضت أن يكون الناس فيما يواجهون من البلاء والمصائب في دار الدنيا على قدر منازلهم في القرب من الله تعالى.

ففي «الكافي» (٢/٢٥٢) عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاء، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**». *سنده صحيح*.

وفي المصدر نفسه: عن محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد ابن عيسى، عن الحسن بن محبوب السراد، عن عبد الرحمن بن الحجاج البجلي، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ضمن حديث:

«...يُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ بَعْدُ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ وَحُسْنِ أَعْمَالِهِ، فَمَنْ صَحَّ إِيمَانُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَمَنْ سَخُفَ إِيمَانُهُ وَضَعُفَ عَمَلُهُ قَلَّ بَلاؤُهُ». سنده صحيح.

وروى الشيخ الصفار (رضوان الله عليه) فِي «بصائر الدرجات» (ص١٢٤ ـ ١٢٥) عن أحمد بن محمد بن عيسى؛ ومحمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن ضريس الكناسي، أن حمران بن أعين سأل الإمام الباقر عن السر في ما واجهه الأئمة عليهم السلام من مصاعب ومصائب، فأجاب عليه السلام:

«...مَا كَانَ الَّذِي أَصَابَهُمْ مِنْ ذَلِكَ ـ يَا حُمْرَانُ ـ لِذَنْبٍ اقْتَرَفُوهُ، وَلا لِعُقُوبَةِ مَعْصِيَةٍ خَالَفُوا اللَّهَ فِيهَا، وَلَكِنْ لِمَنَازِلَ وَكَرَامَةٍ مِنَ اللَّهِ أَرَادَ أَنْ يَبْلُغُوهَا...» . سنده صحيح.

وقد كان عظيم البلاء الذي حل بالحسين (عليه السلام) وبأولاده وأصحابه رضوان الله عليهم، يمثل فاجعة يصعب أن يتم وصفها والتعبير عنها، وسنقرأ في الروايات ما يبين أن مصيبة عاشوراء أثّرت حتى على الجمادات في الكون، وأن الطبيعة الصامتة نطقت واستجابت وبكت حزناً وافتجاعاً على ما جرى في واقعة الطف من كرب وبلاء على أبناء رسول الله، الذين كانوا أقرب أولياء الله منزلة من الله، وأخص أحباء الله زلفةً إليه فِي جميع العالمين.

وهناك العديد من النصوص فيما يرتبط بظلامة الإمام الحسين عليه السلام، والتي يشكل مجموعها تواتراً يدركه ويذعن له من أوتي أدنى مستوى من التمييز وأقل حظ من الإنصاف.

ويظهر جلياً من القدر المتواتر أن دَويَّ ظلامة الإمام الحسين وأهل بيته، كان أقوى من كل الظروف، وأنه اجتاز كل الحجُب.. وهو ما تعكسه كثرة الروايات في مختلف الكتب، وحتى في إطار المصادر التي لا تنتمي إلى مدرسة الإمام الحسين عليه السلام.

وقد نعاه جبرئيل عليه السلام، وبكى عليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وجزع له، ودعا على ظالميه.

في «كامل الزيارات» (ص٥٩) : حدثني أبي رحمه الله تعالى، قال: حدثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنَّ جَبْرَئيلَ عليه السلام أَتَى رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله وَالْحُسَيْنُ عليه السلام يَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيْه، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَقْتُلُهُ، قَالَ: فَجَزِعَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله. فَقَالَ: أَلا أُرِيكَ التُّرْبَةَ الَّتِي يُقْتَلُ فِيهَا؟ قَال: فَخَسَفَ مَا بَيْنَ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قُتِلَ فِيه

الْحُسَيْنُ عليه السلام، حَتَّى الْتَقَتَا الْقِطْعَتَان، فَأَخَذَ مِنْهَا وَدُحِيَتْ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: طُوبَى لَكِ مِنْ تُرْبَةٍ، وَطُوبَى لِمَنْ يُقْتَلُ حَوْلَكِ. قَالَ وَكَذَلِكَ صَنَعَ صَاحِبُ سُلَيْمَانَ، تَكَلَّمَ بِاسْمِ اللَّهِ الأَعْظَمِ، فَخُسِفَ مَا بَيْنَ سَرِيرِ سُلَيْمَانَ وَبَيْنَ الْعَرْشِ، مِنْ سُهُولَةِ الأَرْضِ وَحُزُونَتِهَا حَتَّى الْتَقَتِ الْقِطْعَتَانِ، فاجْتَرَّ الْعَرْشَ. قَالَ سُلَيْمَانُ: يُخَيَّلَ إِلَيَّ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ سَرِيرِي، قَالَ: وَدُحِيَتْ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ الْعَيْنِ». سنده صحيح.

وفي «كامل الزيارات» (ص٦٠) : حدثني أبي رحمه الله تعالى، عن سعد، عن علي بن إسماعيل بن عيسى ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب وإبراهيم بن هاشم، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«نَعَى جَبْرَئِيلُ عليه السلام الْحُسَيْنَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَجَبْرَئِيلُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا تَقْتُلُهُ أُمَّتُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَرِنِي مِنَ التُّرْبَةِ الَّتِي يُسْفَكُ فِيهَا دَمُهُ، فَتَنَاوَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام قَبْضَةً مِنْ تِلْكَ التُّرْبَةِ، فَإِذَا هِيَ تُرْبَةٌ حَمْرَاءُ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ حَتَّى مَاتَتْ رَحِمَهَا اللَّهُ». سنده موثق؛ عثمان بن عيسى الكلابي واقفي ثقة، وسماعة ثقة مختلف في وقفه.

وفي «كامل الزيارات» (ص٦٠) : حدثني أبي رحمه الله، عن سعد ابن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة سالم بن مكرم، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قَالَ لَمَّا وَلَدَتْ فَاطِمَةُ الْحُسَيْنَ عليه السلام جَاء جَبْرَئِيلُ إِلَى رَسُول اللَّه صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهُ: إنَّ أُمَّتَكَ تَقْتُلُ الْحُسَيْنَ منْ بَعْدكَ، ثُمَّ قَالَ: أَلا أُرِيكَ منْ تُرْبَته؟ فضَرَبَ بجَنَاحه فَأَخْرَجَ منْ تُرْبَة كَرْبَلاء وَأَرَاهَا إِيَّاهُ، ثُمَّ قَالَ: هَذه التُّرْبَةُ الَّتي يُقْتَلُ عَلَيْهَا». سنده صحيح.

فجبرئيل أخبر ونعى، والنبي افتجع وبكى.. وتم نقل عينة من التربة المقدسة بصورة خارقة للعادة لينظر إليها النبي ويملأ عينيه بالدموع وقلبه بالحزن.. فيا له من نبأ عظيم وخطب جسيم!

وفي كتاب «بصائر الدرجات» (ص٤٩) : حدثنا العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتي، وَيَمُوتَ مَمَاتي، وَيَدْخُلَ جَنَّةَ رَبِّي جَنَّةَ عَدْن مَنْزلي، قَضيبٌ منْ قُضْبَانهَا غَرَسَهَا اللَّهُ رَبِّي بيَده، فَلْيَتَوَلَّ عَليّاً وَالأَئمَّةَ منْ بَعْده؛ فَإِنَّهُمْ أَئمَّةُ الْهُدَى، أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فَهْماً وَعلْماً، فَهُمْ

عِتْرَتِي مِنْ لَحْمِي وَدَمِي، إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَنْ عَادَاهُمْ مِنْ أُمَّتِي، وَاللَّهِ لَيَقْتُلُنَّ ابْنِي، لا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي». سنده صحيح.

فالنبي ـ صلى الله عليه وآله ـ يؤكد على إمامة الهداة من أهل البيت بوصفها سبب نجاة الأمّة، وفي السياق نفسه يشير إلى ظلامة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، ويدعو على قاتليه وظالميه.

ومن الجدير بالاهتمام أن النبي الأكرم يربط بين مقتل الإمام الحسين وبين اتجاه يتبنى العداء لأهل البيت عليهم السلام، فالقضية ليست خطأً، ولا موقفاً مرتجلاً، بل هناك فئة من هذه الأمّة تبنت العداء لأهل البيت، وكان قتل الحسين عليه السلام مهمةً مدرجة في مشاريع عدائية خطط لها أعداء أهل البيت عليهم السلام.

ويلزم أولي الألباب أن يتساءلوا عن هوية هؤلاء المعادين لأهل البيت، وعن بدايات ظهورهم، وعن الأسباب التي جعلتهم يعادون أهل البيت، وعن مظاهر العداء الأخرى التي مارسوها ضد أهل بيت النبوة.

تلك كانت لمحة خاطفة عن مواقف النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ إزاء ظلامة ابنه وريحانته.

ولنذكر موقف والده الإمام علي عليه السلام الذي كان بطل الإسلام وعنوان عزته وهيبته، ومع ذلك لم يتمالك نفسه حين مرّ بكربلاء،

فأرسل عينيه بالبكاء، وأخذ ينعى أحبته الذين سوف تتحطم فوق رؤوسهم جبال البلاء، وتعصف بهم الفاجعة يوم عاشوراء.

روى الحميري (رضوان الله عليه) في كتاب «قرب الإسناد» (ص٢٦) عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن الإمام الصادق، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال:

«مَرَّ عَليٌّ بكَرْبَلاء في اثْنَيْن منْ أَصْحَابه. قال: فَلَمَّا مَرَّ بهَا تَرَقْرَقَتْ عَيْنَاهُ للْبُكَاء، ثُمَّ قَالَ: هَذَا مُنَاخُ ركَابهمْ، وَهَذَا مُلْقَى رحَالهمْ، وَهَاهُنَا تُهرَاقُ دمَاؤُهُمْ، طُوبَى لَك منْ تُرْبَة، عَلَيْكَ تُهرَاقُ دمَاء الأَحبَّة». سنده صحيح.

ومن دلائل عظم مصيبة كربلاء أنها عُدت الأشد فِي مصائب أهل البيت عليهم السلام.

روى الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) في «الأمالي» (ص١٦١) عن الشيخ المفيد، عن جعفر بن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي محمد الأنصاري، عن معاوية بن وهب، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ضمن حديث:

«مَا أُصيبَ وُلْدُ فَاطمَةَ وَلا يُصَابُونَ بمثل الحُسَين عَليه السلام، وَلَقَدْ قُتلَ عَلَيه السَّلام في سَبْعَةَ عَشَرَ من أَهْل بَيْتــه، نَصَحُوا للّه وَصَبَــرُوا في جَنْب

الله، فَجَزَاهُمْ أَحْسَنَ جَزَاء الصَّابرينَ». سنده حسن؛ أبو محمد الأنصاري اسمه: عبد الله، ليس فيه توثيق، ولكن قال عنه محمد بن عبد الجبار: كان خيراً، انظر: الكافي (١٢٧/٣) .

وقد كان أهل الجاهلية يحترمون شهر المحرم، ويمتنعون فيه عن القتال والظلم فيما بينهم.. فبلغ من جور أعداء أهل البيت من هذه الأمّة أنهم قاتلوا سيد شباب أهل الجنة وريحانة نبيهم في هذا الشهر.

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «الأمالي» (ص١٢٩) ، عن محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، قال: حدثنا علي ابن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال ـ في كلام له ـ :

«إنَّ المُحرَّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يُحرِّمون فيه الظلم والقتال لحُرمته، فما عرفت هذه الأمَّة حُرمَةَ شهرها ولا حُرْمَةَ نبيِّها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذُرِّيته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً». سنده معتبرٌ وفاقاً للعديد من الأساطين.

فالأمر لم يقتصر على قتل سبط رسول الله، بل قد تعدوا على نساء أهل البيت، فأخذوهن سبايا، وأغاروا على الخيام والأمتعة فنهبوها.. فلعنة الله على القوم الظالمين.

وروى الشيخ الصدوق (أعلى الله مقامه) في كتاب «الأمالي» (ص١٢٨) عن جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين بن محمد بن عامر، عن عبد الله بن عامر، عن إبراهيم بن أبي محمود، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«إنَّ المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرِّمون فيه القتال، فاستُحلَّت فيه دماؤنا، وهُتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله حرمة في أمرنا. إنَّ يومَ الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، بأرض كرب وبلاء أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء...». *سنده صحيح*؛ شيخ الصدوق هو جعفر بن قولويه على التحقيق وفاقاً لغير واحد من الأساطين.

وفي كتاب «قرب الإسناد» (ص٢٦) عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن الإمام الصادق، عن أبيه الإمام الباقر عليهما السلام أنه قال:

«لَمَّا قُدمَ عَلَى يَزِيدَ بذَرَارِيِّ الْحُسَيْن أُدْخلَ بهنَّ نَهَاراً مَكْشُوفَات [مكشَّفات] **وُجُوهُهُنَّ، فَقَالَ أَهْلُ الشَّام الْجُفَاةُ: مَا رَأَيْنَا سَبْياً أَحْسَنَ منْ هَؤُلاء، فَمَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالَتْ سُكَيْنَةُ بنْتُ الْحُسَيْنِ: نَحْنُ سَبَايَا آل مُحَمَّد»**.

سنده صحيح.

فانظر إلى عظيم المصيبة وجليل الرزية.. وقد قال دعبل الخزاعي تعبيراً عن ذلك:

بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ وآلُ رَسُـولِ اللَّهِ مُـنْـتَـهَـكَاتِ
وَآلُ زِيَادٍ فِي الْحُصُونِ مَنِيعَةٌ وَآلُ رَسُـولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
دِيَارُ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْنَ بَلْقَعاً وَآلُ زِيَادٍ تَسْكُنُ الْحُجُـرَاتِ
وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ تُدْمَى نُحُورُهُمْ وَآلُ زِيَـادٍ رَبَّـةُ الْحَـجَـلاتِ
وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ تُسْبَى حَرِيمُهُمْ وَآلُ زِيَـادٍ آمِنُـوا السِّـرَبَات

وفي رواية ابن شبيب المعتبرة التي مرت آنفاً من أمالي الصدوق (رضوان الله عليه)، يقول الإمام الرضا عليه السلام:

«إنْ كُنْتَ بَاكِياً لشَيء، فَابْك للْحُسَين بن عَليٍّ بْن أَبي طَالب عليهم السلام، فَإِنَّهُ ذُبحَ كَمَا يُذْبَحُ الكَبْشُ، وقُتلَ مَعَهُ من أَهْل بَيْته ثَمَانيَةَ عَشرَ رَجُلاً مَا لَهُمْ في الأرض شَبيهُوْنَ، وَلَقَدْ بَكَت السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُوْنَ لقَتْله، ولَقَدْ نَزَلَ إلَى الأَرْض منَ الْمَلائكَة أَرْبَعَةُ آلاف لنَصْره، فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتـل، فَهُمْ عنْدَ قَبْـره شُعْثٌ غُبْرٌ إلى أن يقومَ القَائمُ، فَيَكُونُونَ منْ أَنْصَـاره، وَشعَارُهُمْ: يا لثارات الحسين».

فأولى الناس بالبكاء هو الذي ذبح بصورة مفجعة، لأنهم لم يرعوا له حرمة، بل لم يعاملوه حتى كإنسان، بل استحلوا ذبحه كما يستحلون ذبح الكبش.. ويزيد من هول المصيبة أن الإمام والثلة الذين قتلوا معه،

كانوا يمثلون خير خلق اللّه وأقرب العباد منزلة منه وأخصهم زلفة لديه، فلم يكن على وجه الأرض من يدانيهم فِي عظيم صفاتهم وشريف منزلتهم من اللّه تعالى.

وبسبب عظمة المصيبة؛ بكت السماوات السبع والأرضون السبع.

وفِي معتبرة «الأمالي» نفسها يروي الإمام الرضا عن أبيه الإمام الكاظم عن الإمام الصادق عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«لمَّا قتل الحسين جدِّي صلوات الله عليه مطرت السماء دماً وتراباً أحمر».

وروى ابن قولويه (رضوان اللّه عليه) فِي كتاب «كامل الزيارات» (ص٨٩) : عن أبيه رحمه اللّه، عن سعد بن عبد اللّه، عن محمد بن الحسين، عن وهيب بن حفص النحاس، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام بَكَى لقَتْله السَّمَاء وَالأَرْض وَاحْمَرَّتَا، وَلَمْ تَبْكِيَا عَلَى أَحَد قَطُّ إلاَّ عَلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام». سنده موثق، وهيب بن حفص واقفي ثقة.

وبسبب فداحة الخطب اعتكف الملائكة في محراب الحسين عليه السلام، فهم في هيئة أهل المصيبة، شعثٌ غبرٌ، لا يرقأ لهم جفن، ولا

يهدأ لهم بال، ولا يطيب لهم خاطر، حتى يأخذوا بثأره مع الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

وفي «كامل الزيارات» (ص٨٤) : حدثني أبي رحمه الله، عن سعد ابن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن ربعي، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ـ ضمن حديث ـ :

«وَالَّذي نَفْسي بِيَده إنَّ حَوْلَهُ أَرْبَعَةَ آلاف مَلَك شُعْثٌ غُبْرٌ يَبْكُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة». سنده صحيح.

فيظهر أن جذوة الجزع على الحسين عليه السلام ستبقى متقدة إلى قيام الساعة.

وفي يوم القيامة ستتجلى الظلامة الحسينية، فيغضب الله للحسين، وذلك حين تطالب سيدة نساء أهل الجنة بثأر ولدها وفلذة كبدها، مُلوّحةً بقميصه المضمّخ بدمائه ودماء أحبائه الذين كان يحتضنهم في لحظات العروج وهم ينزفون في مجزرة عاشوراء.

روى الشيخ المفيد (أعلى الله مقامه) في كتاب «الأمالي» (ص١٣٠) عن الشيخ الصدوق، عن أبيه، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم أمر منادياً فنادى: غضوا أبصاركم ونكِّسوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة ابنة محمد (صلى الله عليه وآله) الصراط. قال: فتغض الخلائق أبصارهم، فتأتي فاطمة عليها السلام على نجيب من نُجب الجنة، يشيعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة، ثم تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن علي عليهما السلام بيدها مُضمَّخاً بدمه وتقول: يا رب؛ هذا قميص ولدي، وقد علمت ما صنع به. فيأتيها النداء من قبل الله عز وجل: يا فاطمة لك عندي الرضا، فتقول: يا رب انتصر لي من قاتله، فيأمر الله تعالى عُنقاً من النار فتخرج من جهنم فتلتقط قتلة الحسين بن علي عليهما السلام كما يلتقط الطير الحب، ثم يعود العنق بهم إلى النار فيُعذَّبون فيها بأنواع العذاب، ثم تركب فاطمة عليها السلام نجيبها حتى تدخل الجنة، ومعها الملائكة المُشيِّعون لها، وذريتها بين يديها، وأولياؤهم من الناس عن يمينها وشمالها». *سنده صحيح.*

والنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) سيكون له دور أيضاً في محاسبة قتلة ولده الحسين عليه السلام.

روى الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) في «الأمالي» (ص١٦١) عن الشيخ المفيد، عن جعفر بن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي محمد

الأنصاري، عن معاوية بن وهب، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ضمن حديث:

«**إنه إذا كان يوم القيامة أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسين عليه السلام ويده على رأسه يقطر دماً، فيقول: يا رب؛ سَلْ أمَّتي: فيم قتلوا ولدي؟**». سنده حسن؛ أبو محمد الأنصاري اسمه: عبد الله، ليس فيه توثيق، ولكن قال عنه محمد بن عبد الجبار: كان خيراً، انظر: الكافي (١٢٧/٣) .

ولاحظ التعبير بالأمّة؛ كأنه ـ صلى الله عليه وآله ـ يريد أن يقول بأن مجزرة كربلاء لم تكن جريمة ارتكبها مجموعة من النواصب، بل هناك فريق كبير من الأمّة له علاقة بذلك.. وهو ما يفتح أمامنا آفاق التساؤل عن الخلفيات التاريخية لمأساة كربلاء، وعن أناس كان لهم دور تأسيس الظلم على أهل البيت، وعن الخطوط التي تعبر عن استمرار لذلك المسار المعادي لأهل البيت حتى فيما بعد عاشوراء.

فهذه نبذة عن الظلامة الحسينية التي أوجعت القلوب، وأفجعت التاريخ، وستعصف بالظالمين يوم يغضب الله لغضب فاطمة الزهراء عليها السلام ويرضى لرضاها..

❖❖❖

البكاء والعزاء من المظاهر العقلائية التي لم يرفضها الدين، لأنها تأتي في السياق الفطري للإنسان الذي يتفاعل مع القضايا المأساوية والرزايا والأحزان بالبكاء والافتجاع.. ولكن الدين نظّم هذا التفاعل لئلا يكون رفضاً لقضاء الله تعالى أو جحوداً لأنعمه..

والناس يبكون لفراق أقربائهم حين يموتون، كما يبكون على كل مصيبة يدركون كنهها ويعيشون أجواءها، ولو لم تكن وقعت حقيقةً، فإن الناس يبكون حين يرون مشهداً مؤثراً، ولو كان مجرّد تمثيلية لا تحكي أحداثاً تحقّقت في مسرح الواقع.

والأمر الإيجابي في البكاء هو أنه يجسد إنسانية الإنسان، لأنه يعكس تفاعله مع القيم النبيلة.. فهو يبكي حين يرى الاضطهاد والظلم؛ لأنه شديد الحرص على العدالة والرحمة.. وربما بكى حين تتجسد له العدالة والرحمة بصورة مفعمة بالقوة؛ لأنه يتفاعل مع هذه المبادئ بقوة فطرية تدفعه إلى الحالة البكائية.

والقضية الحسينية لا تزال تستدر قوافل الدموع؛ لأنها تعكس مصيبة كبرى وفاجعة عظمى.. فلو كان الحسين وأهل بيته مجرد أناس عاديين

لا صلة لهم بالإسلام، لكان ما حل بهم من الظلم الفظيع والقتل المريع، يستحق البكاء ويستدعي الافتجاع، فكيف بنا والحسين هو سيد شباب أهل الجنة، وحبيب الله وابن حبيبه، ووارث الأنبياء الذي جُمعت فِي شخصيته الطهارة والعصمة ومزايا العلم والحكمة، فكان ولي الله، وحبيب الله، وحجة الله..

فكيف لا يبكي الإنسان على عظيم بهذا المستوى ذبحه الظالمون كما يذبح الكبش؟

وكيف لا يعتصر الألم قلوبنا وقد سبيت نساؤه من بعده وهن بنات النبي ونساء أهل البيت؟

وقد صح أن المؤمن إذا مات بكته الملائكة والبقاع التي كان يعبد الله فيها وأبواب السماء التي كانت أعماله تصعد منها.

روى الكلينِي (رضوان الله عليه) فِي «الكافي» (٢٥٤/٣) عن علي ابن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال:

«إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ بَكَتْ عَلَيْه الْمَلائكَةُ وَبقَاعُ الأَرْض الَّتي كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَأَبْوَابُ السَّمَاء الَّتي كَانَ يُصْعَدُ أَعْمَالُهُ فيهَا، وَثُلمَ ثُلْمَةٌ في الإِسْلامِ لا يَسُدُّهَا شَيْءٌ؛ لأَنَّ الْمُؤْمنينَ حُصُونُ الإِسْلامِ كَحُصُونِ سُورِ الْمَدينَة لَهَا». سنده صحيح.

فهذه منزلة المؤمن عند الله تعالى، فكيف بمن جعل الله معرفته معياراً للإيمان؟

وقد كان الحسين وأهل بيته يمثلون الطهارة والقيم والمبادئ الإنسانية في أسمى مراتبها وأنقى صورها.. فالبكاء عليهم بكاء على الإنسانية كلها، وبكاء للقيم كلها..

وكيف تجمد العين ولا تذرف الدموع على من بكت له السماوات السبع والأرضون السبع؟

ولما كان البكاء على الحسين يجسد الارتباط بكل القيم الإنسانية، بل السماوية؛ لأن الحسين كان حبيب الله ووليه وحجته، وردت الأحاديث تحث على البكاء عليه وتبين ما لهذا النمط من التفاعل الحسيني من مثوبة عند الله تبارك وتعالى.

وقد تقدم أن استعرضنا رواية أمالي الصدوق (رضوان الله عليه) المعتبرة التي يقول فيها الإمام الرضا عليه السلام:

«...ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قُتل، فهم عند قبره شُعث غُبر إلى أن يقوم القائم...».

كما تقدمت رواية «كامل الزيارات» الصحيحة التي يقول فيها الإمام الصادق عليه السلام:

«وَالَّذي نَفْسي بِيَده إنَّ حَوْلَهُ أَرْبَعَةَ آلاف مَلَك شُعْثٌ غُبْرٌ يَبْكُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة». سنده صحيح.

وفي «كامل الزيارات» (ص١٩١) : حدثني محمد بن الحسن بن أحمد بن وليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة، عن العباس بن عامر، عن أبان بن عثمان، عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«**إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِقَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَرْبَعَةَ آلاف مَلَك شُعْثاً غُبْراً، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكُونَهُ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ، فَإِذَا زَالَت الشَّمْسُ هَبَطَ أَرْبَعَةُ آلاف مَلَك وَصَعَدَ أَرْبَعَةُ آلاف مَلَك، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكُونَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، وَيَشْهَدُونَ لِمَنْ زَارَهُ، وَيُشَيِّعُونَهُ بِالْوَفَاءِ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَعُودُونَهُ إِذَا مَرِضَ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ إِذَا مَاتَ**». سنده صحيح.

ومن هنا ندرك أن البكاء على الحسين مع التمظهر بهيئة أهل العزاء (شعثاً غبراً) هو عمل عبادي يمارسه آلاف الملائكة في كل يوم صباحاً ومساءً.

وهذا يعكس أهمية هذا العمل العبادي عند الله تعالى، فعمل تهتم به آلاف الملائكة، لا ريب أنه عبادة من أشرف العبادات وأهمها.. كما يعكس ذلك المرتبة العظيمة للإمام الحسين عليه السلام.

وقد صح عن الأئمة الهداة الحث على البكاء والافتجاع على سيد الشهداء عليه السلام.

فقد روى الشيخ الصدوق (أعلى الله مقامه) فِي كتاب «الأمالي» (ص١٢٨) عن جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين بن محمد بن عامر، عن عبد الله بن عامر، عن إبراهيم بن أبي محمود، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«...**فعلى مثل الحُسين فَلْيَبْك الباكون؛ فإنَّ البُكاء عليه يحطُّ الذنوب العظام...**». *سنده صحيح؛* شيخ الصدوق هو جعفر بن قولويه على التحقيق وفاقاً لغير واحد من الأساطين.

وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) فِي كتاب «الأمالي» (ص١٢٩) ، عن محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، قال: حدثنا علي ابن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال ـ في كلام له ـ :

«**إن كنت باكياً لشيء، فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله...**». *سنده معتبر* وفاقاً للعديد من الأساطين.

وفي نص الرواية نفسها يقول الإمام عليه السلام:

«**إن بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خدَّيك، غفر الله لك كل ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً**».

فالإمام الرضا عليه السلام يطالبنا بأن نبكي بكاء يعتصر عيوننا فتغزر دموعها حتى تسيل على الخدود.

وقد تبين أيضاً أن البكاء على الحسين عليه السلام يمثل فرصة للمؤمنين لانطلاقة جديدة في العلاقة مع الله تعالى، فهم ببكائهم يطهرون صحائف أعمالهم، ويتسنى لهم بذلك أن يبدؤوا ببناء علاقتهم من جديد مع الله تبارك وتعالى، بعد أن تخلصهم الدموع الحسينية من أعباء الذنوب التي أثقلت ظهورهم.

ومن الموالين من يعتصر قلبه الألم لمصائب أهل البيت عليهم السلام، فيستشعر حالة الحرقة والحزن الشديد، ومنهم من تنهمل دموعه، ومنهم من يعبر عن حزنه الواعي عن طريق صرخات التوجع وآهات التألم، فهؤلاء كلهم من السعداء الذين يدعو لهم الإمام الصادق عليه السلام بقوله وهو يناجي ربه:

«ارْحَمْ تِلْكَ الْعُيُونَ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي جَزِعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الصَّرْخَةَ الَّتِي كَانَتْ لَنَا».

رواه الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «ثواب الأعمال» (ص٩٤) عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن معاوية بن وهب، عن الإمام الصادق عليه

السلام، ضمن حديث، به. والسند صحيح. وسوف نورد الرواية بتمامها في مبحث الزيارة.

والرواية تدل على أن ظلامة الحسين عليه السلام هي ظلامة كل الأئمة عليهم السلام، ولذا تم التعبير في الرواية عمن يبكي ويحترق قلبه للحسين بأنه يبكي ويحترق لجميع أهل البيت بما يشمل الإمام الصادق، فلاحظ الضمير في عبارة (لنا) التي تكررت.. وهذا يعني أن قضية أهل البيت واحدة، وأن ظلامتهم واحدة، وأن البكاء والتوجع للإمام الحسين هو بكاء وتوجع لكل ظلم قاسى منه الأئمة الأطهار في مختلف المراحل وفي شتى الظروف والأزمنة.

وروى الشيخ الصدوق (أعلى الله مقامه) فِي كتاب «ثواب الأعمال» (ص٨٣) عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر، عن الإمام السجاد عليهما السلام أنه كان يقول:

«أيُّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى تسيل على خده، بوأه الله تعالى بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيُّما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خديه فيما مسَّنا من الأذى من عدونا في الدنيا، بوَّأه الله منزلَ صدق، وأيُّما مؤمن مسَّه أذًى فينا، فدمعت عيناه

حتى تسيل على خدِّه من مَضاضــة أو أذًى فينا، صرف الله من وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخط النار». *سنده صحيح*.

ومهما يكن مستوى التفاعل العاطفي مع مصائب أهل البيت عليهم السلام، فإنه مطلوب، وصاحبه مأجور، ولو كانت الدمعة بقدر جناح الذباب.

روى البرقي (رضوان الله عليه) في كتاب «المحاسن» (ص٦٣) عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن بكر بن محمد، عن فضيل بن يسار، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ ذُكِرْنَا عِنْدَهُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَلَوْ مِثْلَ جَنَاحِ الذُّبَابِ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». *سنده صحيح*.

والحزن لحزن أهل البيت بصورة عامة والفرح لفرحهم هو مما ندب إليه الأئمة الأطهار عليهم السلام.

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «الأمالي» (ص١٣٠)، عن محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، قال: حدثنا علي ابن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال ـ في كلام له ـ:

«إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العُلا من الجنان، فاحزَنْ لحُزننا، وافرَحْ لفرحنا، وعليك بولايتنا». *سنده معتبر وفاقاً لغير واحد من الأساطين*.

ولئن كان الجزع منهياً عنه فِي سائر الحزن، فإن مصيبة كربلاء تمثل استثناءً من القاعدة.

روى الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) في «الأمالي» (ص١٦١) عن الشيخ المفيد، عن جعفر بن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي محمد الأنصاري، عن معاوية بن وهب، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ضمن حديث:

«كل الجَزَع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام». *سنده حسن*؛ أبو محمد الأنصاري اسمه: عبد الله، ليس فيه توثيق، ولكن قال عنه محمد بن عبد الجبار: كان خيراً، انظر: الكافي (١٢٧/٣).

فنسأل الله أن يرزقنا جميعاً توفيق طاعته والتقرب إليه بالبكاء على سيد الشهداء ومصائب أهل البيت في كربلاء، لتغسل الدموع الحسينية دَرَن المعاصي عن قلوبنا، وتخفف من أثقال الذنوب التي احتطبناها على ظهورنا، لننطلق من جديد باتجاه الله تعالى على صراط الحسين عليه السلام.

❖❖❖

*** معنى البـــراءة:**

المقصـود بالبـراءة: التبـاعد والتخلي والتجافِي عن أنـاس معيـنين، فهي بهـذا المعنـى عكس المـوالاة والتـولي اللتـين تعنيـان المحبـة والنصـرة اللتين تلازمان التقرب والمتابعة.

فالبـراءة من أعداء الإمام الحسين عليه السلام تعني اتخاذ موقف منـابذ ومجـافٍ ومخالف ومفارق ومتبـاعد منهم، وبعبـارة أخـرى: نفي الارتبـاط وعدم إقامة علاقة ودّية معهم، وبعبـارة أوضح: اتخاذ موقف معاد منهم.

*** تواجد أعداء أهل البيت على مر التاريخ:**

وبملاحظة النصوص الواصلة إلينا عن النبـي (صلى الله عليه وآله) وأهـل بيتـه الطـاهرين؛ نـدرك بوضـوح أنهم كانـوا يؤكدون مـراراً على وجود أعداء لهم..

ففي كتاب «بصائر الدرجات» (ص٤٩) : حدثنا العباس بن معروف، عن حمـاد بن عيسى، عن حريز، عن أبي حمزة الثمـالي، عن الإمـام الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتي، وَيَمُوتَ مَمَاتي، وَيَدْخُلَ جَنَّةَ رَبِّي جَنَّةَ عَدْنٍ مَنْزِلي، قَضِيبٌ مِنْ قُضْبَانِهَا غَرَسَهَا اللَّهُ رَبِّي بِيَدِه، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيّاً وَالأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِه؛ فَإِنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْهُدَى، أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فَهْماً وَعِلْماً، فَهُمْ عِتْرَتي مِنْ لَحْمي وَدَمي، إِلَى اللَّه أَشْكُو مَنْ عَادَاهُمْ مِنْ أُمَّتي، وَاللَّهِ لَيَقْتُلُنَّ ابْني، لا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتي». *سنده صحيح.*

فلاحظ أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) يتحدث بوضوح عن أعداء أهل بيته عليهم السلام.

وروى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (٢/٤٩٦) عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق، عن الإمام الباقر عليهما السلام، أنه قال:

«إِنَّ ذِكْرَنَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَذِكْرِ عَدُوِّنَا مِنْ ذِكْرِ الشَّيْطَان». *سنده موثق.*

وروى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (٢/٦٢٨) عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن إسحاق بن عمار، عن أبي بصير، عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«نَزَلَ الْقُرْآنُ أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ، رُبُعٌ فِينَا، وَرُبُعٌ فِي عَدُوِّنَا، وَرُبُعٌ سُنَنٌ وَأَمْثَالٌ، وَرُبُعٌ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ». *سنده موثق.*

وروى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) فِي «الكافِي» (٢/٣٦٦) عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«**أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ شِيعَتِنَا أَتَى رَجُلاً مِنْ إِخْوَانِهِ فَاسْتَعَانَ بِهِ فِي حَاجَتِهِ، فَلَمْ يُعِنْهُ وَهُوَ يَقْدِرُ، إِلاَّ ابْتَلاهُ اللَّهُ بِأَنْ يَقْضِيَ حَوَائِجَ غَيْرِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا، يُعَذِّبُهُ اللَّهُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». *سنده صحيح.*

وقد كان وجود أعداء أهل البيت بحد من الاتساع بحيث تم نسبة قتل الإمام الحسين إلى عنوان (الأمة)، وهو ما يعني أن عدداً كبيراً من الأمة له دور فيما وقع على أهل البيت من الظلم والجور.

فقد مر قريباً ما صح سنداً عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «**إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَنْ عَادَاهُمْ مِنْ أُمَّتِي، وَاللَّهِ لَيَقْتُلُنَّ ابْنِي، لا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي**».

وتقدم من كامل الزيارات (ص٦٠) بسند موثق عن الإمام الصادق عليه السلام أن جبرئيل (عليه السلام) قال للنبي: «**إِنَّ هَذَا تَقْتُلُهُ أُمَّتُكَ**».

وفي كامل الزيارات (ص٦٠) بسند صحيح أن جبرئيل قال للنبي: «**إِنَّ أُمَّتَكَ تَقْتُلُ الْحُسَيْنَ مِنْ بَعْدِكَ**».

وتقدمت معتبرة ابن شبيب عن الإمام الرضا عليه السلام التي يقول فيها: «**فما عرفت هذه الأمَّة حُرمَةَ شهرها ولا حُرْمَةَ نبيِّها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذُرِّيته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله**». (الأمالي للصدوق، ص١٢٩) .

وتقدم بسند حسن عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه يقول يوم القيامة: «**يا رب؛ سَلْ أمَّتي: فيم قتلوا ولدي؟**». (الأمالي للطوسي، ص ١٦١) .

ولعل ذلك مما هو في غنى عن النصوص والاستدلال؛ لأنه من واضحات التاريخ، فإن أقل المطلعين على أحداث التاريخ الإسلامي التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، يستطيع أن يدرك التوجه العدائي ضد أهل البيت فِي إطار هذه الأمّة.

*** أهمية البراءة في المنظومة الدينية:**

إن الإنسان بطبيعته يبغض الشر وأهله، ويتباعد عن بؤر التردي ومن ينتمي إليها، ويشعر بالنفور والاشمئزاز ممن ينغمسون فِي أوحال السقوط الفكري والأخلاقي.. هذا هو المنحى الذي تقتضيه فطرة الإنسان ما دام معافى من الأمراض التي يمكن أن تحبط فاعلية الفطرة وحساسيتها.

وحين يطالبنا الدين بالبراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام، فهو في الحقيقة يطالبنا بالمشي على مقتضى الفطرة، في سبيل أن نكون في مأمن من الانزلاق في الانحراف الذي وقع فيه أولئك الأشرار.

إن التقرب ممن عادى أهل البيت عليهم السلام لا يخلو من موقف عدائي ضد أهل البيت أنفسهم.

فالذي يتعامل بشيء من المحاباة مع عدو للمؤمنين، فهو في الحقيقة يتباعد ـ بالقدر نفسه ـ من نطاق الإيمان.

وقد نهى الله عن ولاية المنافقين في القرآن الكريم، فقال الله تعالى: ﴿فَلا تَتَّخذُوا منْهُمْ أَوْليَاء﴾، وقال في الآية نفسها: ﴿وَلا تَتَّخذُوا منْهُمْ وَليًّا﴾ [النساء: ٨٩].

وجعل الله ولاية الكفار علامة بارزة لكفار بني إسرائيل، وجعل ذلك نتيجة لفسقهم وعدم إيمانهم، فقال تعالى: ﴿تَرَى كَثيراً منْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذينَ كَفَرُوا لَبئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخطَ اللَّهُ عَلَيْهمْ وَفي الْعَذَاب هُمْ خَالدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمنُونَ باللَّه وَالنَّبيِّ وَمَا أُنْزلَ إلَيْه مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْليَاءَ وَلَكنَّ كَثيرًا منْهُمْ فَاسقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠ ـ ٨١].

ونهى الله المؤمنين عن الركون إلى الظالمين، فقال تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إلَى الَّذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ منْ دُون اللَّه منْ أَوْلياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُون﴾. [هود: ١١٣].

ومن الواضح أن جحود حق أهل البيت ومعاداتهم وموالاة أعدائهم، هو من أشد أنواع الظلم وأشنع صور الجور.

والركون يعني: الميل، كما يعني: الاطمئنان والسكون، كما يعني: الاعتماد والتعويل.

ونهى الله المؤمنين عن موالاة أعداء الله، فقال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّة وَقَدْ كَفَرُوا بما جاءَكُمْ منَ الْحَقِّ**﴾. [الممتحنة: ١] . فجعل سبب النهي عن ولايتهم ومودتهم أنهم كفروا بالحق الثابت لدى المؤمنين.

إلى غير ذلك من الآيات التي بينت أهمية البراءة من الظالمين فِي الحياة الإيمانية.

* أهمِّية البراءة من أعداء أهل البيت:

موقف القرآن الكريم صريح ممن آذى النبي صلى الله عليه وآله، فقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخرَة وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهينًا**﴾ . [الأحزاب: ٥٧] .

ولا ريب أن من آذى أحداً من أهل بيت النبي، فهو مؤذ للنبي صلى الله عليه وآله.

روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (١/٢١٥) عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الآيَةُ ﴿يوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناس بإمامهمْ﴾ [الإسراء: ٧١] **قَالَ الْمُسْلمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّه ؛ أَلَسْتَ إمَامَ النَّاس كُلِّهمْ أَجْمَعينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: أَنَا رَسُولُ الله إلَى النَّاس أَجْمَعينَ، ولَكنْ سَيَكُونُ منْ بَعْدي أَئمَّةٌ عَلَى النَّاس منَ الله منْ أَهْل بَيْتي يَقُومُونَ في النَّاس، فَيُكَذَّبُونَ ويَظْلمُهُمْ أَئمَّةُ الْكُفْر والضَّلال وأَشْيَاعُهُمْ، فَمَنْ وَالاهُمْ واتَّبَعَهُمْ وصَدَّقَهُمْ، فَهُوَ منِّي ومَعي وسَيَلْقَاني، أَلا ومَنْ ظَلَمَهُمْ وكَذَّبَهُمْ فَلَيْسَ منِّي ولا مَعي وأَنَا منْهُ بَريءٌ»**. سنده صحيح.

فقد تبرأ النبي ممن ظلم الأئمة من أهل البيت، ومن اقتدى بنبي الله فقد اهتدى.

وقد صرح النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه حرب لمن حارب الإمام علياً عليه السلام، وعدو لمن عاداه.

روى الشيخ المفيد (أعلى الله مقامه) في كتاب «الأمالي» (ص٢١٣) عن الشيخ الصدوق، عن أبيه، عن محمد بن يحيى العطار، عن أحمد ابن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن

سليمان بن خالد، عن الإمام الصادق عن آبائه الطاهرين عليهم السلام أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي عليه السلام:

«يا علي؛ أنت منِّي وأنا منك، وليُّك وليِّي، ووليِّي وليُّ الله، وعدوُّك عدوِّي، وعدوِّي عدوُّ الله. يا علي؛ أنا حَرْبٌ لمن حاربك وسلمٌ لمن سالمك...». *سنده صحيح.*

وقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام أن البراءة باتخاذ الموقف العدائي من أعداء أهل البيت عليهم السلام، هي من العناصر المكوّنة للإيمان.

روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) فِي «الكافِي» (١٨/٢) عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عجلان أبي صالح، أنه قال للإمام الصادق عليه السلام: أوقفني على حدود الإيمان، فقال عليه السلام:

«شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إلاّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّه، وَالإِقْرَارُ بمَا جَاء به منْ عنْد اللَّه، وَصَلَوَاتُ الْخَمْس، وَأَدَاء الزَّكَاة، وَصَوْمُ شَهْر رَمَضَانَ، وَحجُّ الْبَيْت، وَوَلايَةُ وَليِّنَا، وَعَدَاوَةُ عَدُوِّنَا، وَالدُّخُولُ مَعَ الصَّادقينَ». سنده صحيح.

فالحصيلة أن أعداء الإمام الحسين وظالِميه هم أناس يشتكيهم النبي إلى الله تعالى، وهم أعداء لأهل البيت، وهم بإيذائهم للنبي

مستحقون للَّعْنـة والعذاب المهين، وعلى المؤمن أن يتخذ منـهم موقفاً واضحاً وأن يبرأ منهم كما برئ منهم النبي وأهل البيت، وهذه البراءة هي فريضة دينية يتقوم بها الإيمان.

* أعداء الإمام الحسين وأصنافهم:

إن الذين باشروا قتل الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه في رمضاء كربلاء، ليسوا الأعداء الوحيدين للإمام الحسين، بل هم ـ في الحقيقة ـ ممثلون عن شريحة واسعة من أعداء العترة الطاهرة.. أولئك الأعداء الذين كان قسم منهم قد غادر الدنيا، وقسم منهم لم يزل ممن يعدّه الناس حياً، وقسم منهم لم يكن قد ولد بعد.. فعلينا أن ندرك جيداً أن أعداء الإمام الحسين كانوا حالةً مستشرية في المجتمع ولا يزالون.

وفي روايات أهل البيت عليهم السلام ما يجلي قسماً من الصورة التي حاول تشويهها والتعتيم عليها البعض.

روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) فِي «الكافي» (٨/ ٢٣٤) عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن الإمام الصادق أنه قال:

«...ثَلاثَةٌ هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ ابْتُلِيَ بِهِمْ خِيَارُ الْخَلْقِ، أَبُو سُفْيَانَ أَحَدُهُمْ؛ قَاتَلَ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ وَعَادَاهُ، وَمُعَاوِيَةُ قَاتَلَ عَلِيّاً عليه

السلام وَعَادَاهُ، وَيَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ـ لَعَنَهُ اللَّهُ ـ قَاتَلَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليهما السلام وَعَادَاهُ حَتَّى قَتَلَهُ». سنده صحيح.

وقد اعترف ابن تيمية ـ وهو من كبار علماء أهل السنة ـ أن كثيراً من الصحابة كانوا يعادون الإمام علياً عليه السلام، ففي كتاب «منهاج السنة» لابن تيمية (١٣٧/٧) متحدثاً عن الإمام علي عليه السلام: «فإنّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه».

فيتضح من كلام ابن تيمية أن المعادين للإمام علي كان لهم حضور فِي جيل الصحابة والتابعين؛ وهذا يعني أن وباء النصب كان متفشياً ما قبل واقعة الطف، وهذا يؤيد ما يعتقد به شيعة أهل البيت من أن حادثة كربلاء كانت لها خلفيات تاريخية قديمة أسست أساس الظلم والجور على أهل البيت.

والأحاديث المعتبرة التي استعرضناها آنفاً والتي ورد فيها ذكر أعداء أهل البيت، والتلويح والتصريح بالظلم الذي سوف تعاني منه العترة الطاهرة، هي أحاديث تؤكد أن العداء للطاهرين كان يمثل خطاً له مقوماته وبنيته التي تستدعي التحذير والتنبيه والإنذار، ولم يكن حالة طارئة أو طفرة فوجئ بها المسلمون في كربلاء.

فالنقطة المهمة التي علينا الانتباه إليها هي أن أعداء الإمام الحسين لم يظهروا لأول مرة في كربلاء، بل كان لهم سلفٌ وجذور

تاريخية، كما أنه من الواضح أنهم لم يختفوا بعد واقعة كربلاء، بل لا يـزالون إلى يومنا هـذا يمارسون الظلم والقتل لمجابهة المسار الحسيني في مختلف بقاع الأرض.

وثمة قاعدة تقول: (إن الراضي بالفعل شريك فيه).

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «علل الشرائع» (٢٢٩/١) عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد السلام بن صالح الهروي أنه سأل الإمام الرضا عليه السلام قائلاً: يا ابن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها**»؟ فقال عليه السلام: «**هو كذلك**». فقلت: فقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ما معناه؟ فقال عليه السلام: «**صدق الله في جميع أقواله، لكن ذراري قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قتل في المشرق، فرضي بقتله رجل في المغرب، لكان الراضي عند الله شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم...**». سنده صحيح.

وهذه الرواية تدل على أن أعداء الإمام الحسين وتيار النصب لم يختفوا وسيبقون في الساحة إلى أن يجتثهم ابن الحسين والثائر له، أي الإمام المهدي الذي ينتظر ظهوره جميع المسلمين.

وقد قرأنا آنفاً في حديث النبي (صلى الله عليه وآله) الذي رواه الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (٢١٥/١) بسند صحيح: «سَيَكُونُ منْ بَعْدي أَئمَّةٌ عَلَى النَّاس منَ الله منْ أَهْل بَيْتي يَقُومُونَ في النَّاس، فَيُكَذَّبُونَ وَيَظْلمُهُمْ أَئمَّةُ الْكُفْر وَالضَّلال وَأَشْيَاعُهُمْ».

فلاحظ أن الذين يصفهم النبي بظلم أهل بيته ليسوا هم أئمة الضلال فحسب، بل أتباعهم وأشياعهم أيضاً.

ولولا أن للظالم أتباعاً لما قامت له قائمة، ولولا أن أتباعه يروّجون لبضاعته لاندرس ذكرها وذكره.

والهدف من التأكيد على هذه التوسعة في النظر إلى أعداء الإمام الحسين عليه السلام، يتلخص في أمرين:

الأمر الأول: ترقية البراءة وجعلها بالمستوى الصحيح سعةً وعمقاً، وكلما كانت البراءة أصح وأنضج، كان ذلك أدعى لاستكمال الإيمان ونضجه؛ لأننا عرفنا أن البراءة من مقومات الإيمان.

الأمر الثاني: أن البراءة عبارة عن حس كلما كان أتم وأنضج، ساهم في تعميق وعينا تجاه المخاطر المحدقة بنا كمجتمع ديني يخطط الاستكبار العالمي للهيمنة عليه وإحباط قواه.

إن الذين يتصورون أن واقعة الطف عبارة عن مواجهة بين معسكرين في فترة زمنية منقضية من التاريخ القديم، ليسوا على وعي كاف

يؤهلهم لمواجهة الاستكبار العالمي، بينما أولئك الذين يعتقدون أن كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء، هم أقدر الناس على استيعاب رسالة الحسين التاريخية، وبإمكانهم أن يعيشوا أحراراً، وأن يواصلوا التقدم باتجاه العزة الحقيقية التي تتم بظهور الإمام المهدي المنتظر سلام الله عليه.

* مراتب البراءة من أعداء الإمام الحسين:

كل ما يعبر عن التباعد والرفض لأعداء الإمام الحسين فهو يندرج في البراءة المطلوبة التي يتقوّم بها الإيمان.

ولا ريب أن للبراءة درجات ومراتب، فأقل مراتبها: رفض إمامة أعداء الإمام الحسين، ورفض زعامتهم، والتنزه عن التبعية لهم، والتجافِي عن الانصياع للتعاليم التي تمثل ملامح سيرتهم ومزايا توجههم، واعتبارهم مظهراً شيطانياً في قوالب إنسانية زائفة، وعدم إقامة العلاقات الودية معهم.

ومن هنا تتبين أهمية التربية الدينية، وضرورة التفقه في الدين للناشئة والشباب؛ فإن ذلك هو السبيل إلى التعرف على ما تميز به أهل البيت من الفضائل فدعوا إليها، وما تميز به أعداؤهم من الرذائل فأسسوا لها.

فإذا حصلت المعرفة، تيسر السبيل إلى البراءة، وإلاّ فإن البراءة ستكون مجرد دعوى من غير مضمون، فما لم يميز الإنسان الخير والشر، وما لم يميز الأخيار من الأشرار، لا يتيسر له الرفض القلبي الجاد للشر وأهله.

ومن مراتب البراءة: رفض المعاصي؛ وذلك لأن المعصية تنتمي إلى شجرة أعداء أهل البيت، بينما تنتمي الطاعات إلى الشجرة الطيبة التي هي شجرة أهل البيت عليهم السلام.

والتباعد عن أعداء أهل البيت إنما يتكامل إذا انضم التباعد عن ذواتهم إلى التباعد عن صفاتهم الرديئة.

ومن هنا نعرف أن أشد الناس براءة من أعداء أهل البيت، هو مَنْ كان أشدهم تقوى وورعاً عن المعاصي.

*** اللَّعْنُ من صور البراءة:**

إن لعن أعداء الإمام الحسين هو من صور البراءة، وهو صورة من صور الدعاء، وليس من السب المندرج في السلوك السلبي كما يتصور البعض. ولئن كان العرب قد يستعملون اللعن في معنى السب والشتم، إلاّ أن المعنى الآخر للَّعْن هو الدعاء على شخص بأن يبعده الله ويطرده من رحمته ويجعله مستحقاً للعقاب والعذاب، وهذا هو المعنى الذي نقصده من اللعن حيث نعده من صور البراءة.

وقد استعمل اللعن مرات كثيرة في القرآن الكريم، كما ورد مراراً في الأحاديث النبوية عند الفريقين.

وقد بلغنا الثواب العظيم على لعن قتلة الإمام الحسين عليه السلام.

وذلك فيما رواه الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «الأمالي» (ص١٣٠) عن محمد بن علي ماجيلويه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال ـ في كلام له ـ:

«إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَسْكُنَ الغُرَفَ المَبْنِيَّةَ في الجَنَّة مَعَ النَّبيِّ وآله صَلَّى الله عَلَيه وَآله، فَالْعَنْ قَتَلَةَ الحُسَين». *سنده معتبر وفاقاً للعديد من الأساطين.*

وإذا تردد شخصٌ في استحقاق قتلة الإمام الحسين للَّعْن، وخاف أن يقع فِي الإثم إذا لعنهم، فليعلم أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال:

«مَنْ تَأَثَّمَ أَنْ يَلْعَنَ مَنْ لَعَنَهُ الله فَعَلَيْه لَعْنَةُ الله».

رواه الكشي (رضوان الله عليه) في رجاله (ص٥٢٩) عن محمد بن قولويه؛ والحسين بن الحسن بن بندار القمي، قالا: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثني إبراهيم بن مهزيار؛ ومحمد بن عيسى بن عبيد، عن علي بن مهزيار، عن الإمام الجواد عليه السلام، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، به. والسند صحيح.

والتأثم يعني ـ في اللغة ـ تجنب الإثم، والإثم إما معلوم وإما مشكوك، فالمعلوم إنما يتحقق عند أعداء أهل البيت وأتباعهم الذين ربما جزموا بالإثم فِي لعن أعداء الإمام الحسين عليه السلام.

والمشكوك قد يتحقق عند ضعفاء الإيمان والمذبذبين، وهو داخل في مدلول الحديث لكونه مطلقاً يشمل هذا اللون من التأثم أيضاً.

وبهذا تعلم أهمية البراءة، بحيث يكون الشك في استحقاق أعداء الله للَّعْن، موجباً لاستحقاق الشاك نفسه للَّعْن.

نسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى البراءة من أعداء أهل البيت مع البراءة من مساوئ الأخلاق والمعاصي التي هي مزاياهم وخصائصهم.

❖❖❖

فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام

أهمية الزيارة والوفود على الأئمة عليهم السلام، تنبثق من أهمية الإمامة نفسها؛ لأن الزيارة تمثل صورة من صور الارتباط الوثيق بين الإمام والمأموم.

روى الصدوق (رضوان الله عليه) في «من لا يحضره الفقيه» (٥٧٧/٢) عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمد بن عيسى؛ وإبراهيم بن هاشم جميعاً، عن الحسن بن علي الوشّاء، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«**إِنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْداً فِي عُنُقِ أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ، وَإِنَّ مِنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ زِيَارَةَ قُبُورِهِمْ، فَمَنْ زَارَهُمْ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِمْ وَتَصْدِيقاً بِمَا رَغِبُوا فِيهِ، كَانَ أَئِمَّتُهُمْ شُفَعَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». *سنده صحيح، وقد سقنا السند من مشيخة الفقيه* (٤/٤٨٤) .

فهناك عهد بين الإمام والمأموم، والزيارة تأتي كتتميم للوفاء بذلك العهد الذي معناه نوع من المطالبة والمسؤولية في عنق أهل الولاية فيما يرتبط بعلاقتهم مع أئمتهم.

وروى ابن قولويه (رضوان الله عليه) في «كامل الزيارات» (ص١٥٠) عن أبيه وجماعة مشايخه، عن سعد بن عبد الله؛ ومحمد بن يحيى العطار وعبد الله بن جعفر الحميري جميعاً، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي أيوب، عن محمد ابن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال:

«**مُرُوا شيعَتَنَا بزيَارَة قَبْر الْحُسَيْن عليه السلام؛ فَإِنَّ إِتْيَانَهُ يَزِيدُ في الرِّزْق، وَيَمُدُّ في الْعُمُر، وَيَدْفَعُ مَدَافعَ السَّوْء، وَإِتْيَانُهُ مُفْتَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمنٍ يُقرُّ للْحُسَيْن بالإِمَامَة منَ اللَّه**». سنده صحيح.

فلاحظ أن التأكيد على الزيارة تم تفريعه على الإقرار بالولاية.

وقد بلغ من فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام أن جميع الملائكة والأنبياء يتمنون الوفود إلى بقعته المقدسة.

روى الشيخ الكليني (رضوان الله عليه) في «الكافي» (٥٨٨/٤)، قال: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام، ضمن حديث:

«...**لَيْسَ منْ مَلَك وَلا نَبيٍّ في السَّمَاوَات، إلاَّ وَهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ في زيَارَة قَبْر الْحُسَيْن عليه السلام، فَفَوْجٌ يَنْزِلُ، وَفَوْجٌ يَعْرُج**». سنده موثق.

وفي «كامل الزيارات» (ص١٩١): حدثني محمد بن الحسن بن أحمد بن وليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن الحسن بن علي بن

عبد الله بن المغيرة، عن العباس بن عامر، عن أبان بن عثمان، عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِقَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَرْبَعَةَ آلاف مَلَك شُعْثاً غُبْراً، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكُونَهُ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ هَبَطَ أَرْبَعَةُ آلاف مَلَك وَصَعدَ أَرْبَعَةُ آلاف مَلَك، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكُونَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، وَيَشْهَدُونَ لِمَنْ زَارَهُ، وَيُشَيِّعُونَهُ بِالْوَفَاءِ إِلَى أَهْلِه، وَيَعُودُونَهُ إِذَا مَرِضَ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْه إِذَا مَاتَ». *سنده صحيح.*

وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في «كمال الدين» (٢/٦٧٢) عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن الإمام الصادق عليه السلام، ضمن حديث:

«...مَا بَينَ قَبْرِ الْحُسَينِ عَلَيْهِ السَّلام إلى السَّمَاءِ مُخْتَلَفُ الْمَلائكَة». *سنده صحيح.*

وفي «الكافي» (٤/٥٨٨): عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال ضمن حديث:

«وَمَوْضِعُ قَبْرِهِ ـ مِنْ يَوْمَ دُفِنَ ـ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ». *سنده موثق.*

فأي مؤمن لا يتمنى أن يأتي بقعة هي مختلف الملائكة، تهبط إليها كل يوم آلاف الملائكة، ويفد إليها أنبياء الله، وهي روضة من رياض الجنة؟

وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «ثواب الأعمال» (ص٩٧) ، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله الأشعري، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن حنان بن سدير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«زُورُوهُ ـ يَعْنِي قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام ـ وَلا تَجْفُوهُ؛ فَإِنَّهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَسَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». *سنده* موثق.

والرواية ذات دلالة على أن ترك الزيارة يندرج تحت عنوان الجفاء، والجفاء ـ فِي اللغة ـ هو ترك الصِّلَة والبِرّ، فهو يتنافى مع المودة التي طولبنا بها في قول الله تعالى: ﴿...**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**...﴾[الشورى: ٢٣] .

وروى ابن قولويه (رضوان الله عليه) فِي «كامل الزيارات» (ص٨٣) عن أبيه وجماعة مشايخه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن ربعي ابن عبد الله، عن الفضيل بن يسار، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«ما لكم لا تأتونه؟ ـ يعني قبر الحسين عليه السلام ـ ؛ فإن أربعة آلاف ملك يبكون عند قبره إلى يوم القيامة». *سنده صحيح.*

وزيارة الإمام الحسين عليه السلام معدودة في أفضل الأعمال.

روى ابن قولويه (رضوان الله عليه) فِي «كامل الزيارات» (ص٨٣) عن أبيه وجماعة أصحابه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة سالم بن مكرم، أنه سأل الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ عن زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، فقال: «**إِنَّهُ أَفْضَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الأَعْمَالِ**». *سنده صحيح.*

*** جوائز زُوّار الحسين عليه السلام:**

وإن لزوار الإمام الحسين منزلة وجوائز وعطايا، تفضّل الله بها عليهم، منها ما يلمسونه ويحسونه في دار الدنيا، ومنها ما ادخره الله لهم لدار الخلود.

فزيارة الحسين عليه السلام تحط الذنوب وتوجب المغفرة والرحمة.

روى الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «ثواب الأعمال» (ص ٨٦) ، عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن يعقوب بن يزيد، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ أَتَى قبـرَ أبي عبد الله عليه السلام عارفاً بحقِّه، غَفَرَ اللّهُ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر». *سنده صحيح.*

وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «الأمالي» (ص١٣٠) ، عن محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، قال: حدثنا علي ابن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن شبيب، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«إنْ سَرَّكَ أَنْ تَلْقَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَلا ذَنْبَ عَلَيكَ، فَزُر الْحُسَين عَليه السلام». *سنده معتبر وفاقاً للعديد من الأساطين.*

وثواب زيارته عليه السلام يعدل ثواب ألف حجة وألف عمرة مقبولة، وإذا كان الزائر ممن قضي عليه الشقاء، محي ذلك من لوح القضاء، وحوله الله إلى السعادة، وجعله ممن يتنعم بالرحمة الوافرة.

روى ذلك ابن قولويه (أعلى الله مقامه) في «كامل الزيارات» (ص١٦٤) عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن عبد الله بن ميمون القداح، أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً عارفاً بحقه غيرَ مستكبر ولا مستنكف؟ فقال عليه السلام:

«يُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حجَّة وَأَلْفُ عُمْرَة مَبْرُورَة، وَإنْ كَانَ شَقِيّاً كُتبَ سَعيداً، وَلَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي رَحْمَة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ». *سنده معتبر على التحقيق؛*

محمد بن عيسى كان شيخ القميين ووجه الأشاعرة.

وزائر الإمام الحسين يجعله الله من الأبرار الذين قال عنهم:

﴿...إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨ ـ ٢١] .

ودليل ذلك ما فِي «كامل الزيارات» (ص١٤٨) عن أبيه، عن سعد ابن عبد الله، عن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة، عن العباس ابن عامر، عن أبان بن عثمان، عن عبد الله بن مسكان، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام كَتَبَهُ اللَّهُ فِي عِلِّيِّينَ». سنده صحيح.

وسيأتي قريباً في كلام الإمام الصادق عليه السلام مع ابن وهب ما يفيد أن زائر الحسين يدعو له النبي صلى الله عليه وآله، ويوم القيامة يصافحه النبي وتصافحه الملائكة.

وزائر الإمام الحسين ينقلب إلى أهله مسروراً قد ذهب عنه الحزن وكشف عنه الكرب.

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في «ثواب الأعمال» (ص ٩٨) ، عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن علي بن الحسين السعدآبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن عبد الله بن مسكان، عن هارون بن خارجة، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليهما السلام: أَنَا قَتِيلُ الْعَبْرَةِ؛ قُتِلْتُ مَكْرُوباً، وَحَقِيقٌ عَلَى اللَّه أَنْ لا يَأْتِيَنِي مَكْرُوبٌ إِلا أَرُدَّهُ وَأَقْلِبَهُ إِلَى أَهْلِه مَسْرُوراً». سنده معتبر على التحقيق.

وزيارة الحسين توجب طول العمر، وسعة الرزق، ودفع البلاء.

ففي «كامل الزيارات» (ص١٥٠) لابن قولويه، عن أبيه وجماعة مشايخه، عن سعد بن عبد الله؛ ومحمد بن يحيى العطار وعبد الله بن جعفر الحميري جميعاً، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد ابن إسماعيل بن بزيع، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال:

«مُرُوا شيعَتَنَا بزيَارَة قَبْر الْحُسَيْن عليه السلام؛ فَإِنَّ إِتْيَانَهُ يَزِيدُ في الرِّزْق، وَيَمُدُّ في الْعُمُر، وَيَدْفَعُ مَدَافِعَ السَّوْء...». سنده صحيح.

وقد دعا الإمام الصادق عليه السلام لزوار الإمام الحسين عليه السلام بدعاء عظيم جليل، مع بيان عظيم الفضل الذي ينالونه بزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

روى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) في كتاب «ثواب الأعمال» (ص٩٤)، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن معاوية بن وهب، قال: دخلت على أبي عبد الله [الصادق] عليه السلام وهو في مصلاه، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعته وهو يناجي ربه فيقول:

«يَا مَنْ خَصَّنَا بِالْكَرَامَة، وَوَعَدَنَا الشَّفَاعَةَ وَحَمَّلَنَا الرِّسَالَةَ، وَجَعَلَنَا وَرَثَةَ الأَنْبِيَاء، وَخَتَمَ بِنَا الأُمَمَ السَّالِفَةَ، وَخَصَّنَا بِالْوَصِيَّة، وَأَعْطَانَا عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا، اغْفِرْ لِي وَلإِخْوَانِي وَزُوَّارِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّه الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام، الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ، وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بِرِّنَا، وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا، وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لأَمْرِنَا، وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا، أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضْوَانَكَ، فَكَافِهِمْ عَنَّا بِالرِّضْوَان، وَاكْلأْهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَار، وَاخْلُفْ عَلَى أَهَالِيهِمْ وَأَوْلادِهِمُ الَّذِينَ خُلِّفُوا بِأَحْسَنِ الْخَلَفِ، وَاصْحَبْهُمْ وَاكْفِهِمْ شَرَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيد، وَكُلِّ ضَعِيفٍ مِنْ خَلْقِكَ وَشَدِيد، وَشَرَّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ، وَمَا آثَرُوا عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ، اللَّهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ، فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذَلِكَ عَنِ النُّهُوضِ وَالشُّخُوصِ إِلَيْنَا، خِلافاً عَلَيْهِمْ، فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتِي غَيَّرَتْهَا الشَّمْسُ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تَقَلَّبَتْ عَلَى قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّه الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَارْحَمْ تِلْكَ الْعُيُونَ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي جَزِعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الصَّرْخَةَ الَّتِي كَانَتْ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ تِلْكَ الأَنْفُسَ وَتِلْكَ الأَبْدَانَ، حَتَّى تُرَوِّيَهُمْ مِنَ الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَطَشِ».

[قال معاوية بن وهب:] فما زال صلوات الله عليه يدعو بهذا الدعاء وهو ساجد، فلما انصرف قلت له: جعلت فداك؛ لو أن هذا الذي سمعته

منك كان لمن لا يعرف الله، لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنيت أن كنت زرته ولم أحج. فقال لي:

«مَا أَقْرَبَكَ مِنْهُ! فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ عَنْ زِيَارَتِه يَا مُعَاوِيَةُ؟ وَلِمَ تَدَعُ ذَلِكَ؟».

قلت: جعلت فداك؛ فلم أدر أن الأمر يبلغ هذا. فقال:

«يَا مُعَاوِيَةُ؛ وَمَنْ يَدْعُو لِزُوَّارِه فِي السَّمَاءِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُمْ فِي الأَرْضِ. لا تَدَعْهُ لِخَوْفٍ مِنْ أَحَدٍ؛ فَمَنْ تَرَكَهُ لِخَوْفٍ رَأَى مِنَ الْحَسْرَةِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّ قَبْرَهُ كَانَ بِيَدِه، أَمَا تُحِبُّ أَنْ يَرَى اللَّهُ شَخْصَكَ وَسَوَادَكَ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً مِمَّنْ تُصَافِحُهُ الْمَلائِكَةُ؟ أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَنْ يَأْتِي وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ فَيُتْبَعَ بِه؟ أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَنْ يُصَافِحُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله». سنده صحيح.

ولنكتف بهذا القدر، سائلين المولى عز وجل أن يجعلنا من السعداء بزيارة الحسين، ومن الفائزين بشفاعة الحسين، وأن يرزقنا الأخذ بثأره مع إمام زماننا المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

والحمد لله رب العالمين.

❖❖❖

الفهرس

***